مساهمة اللغة العربية في التواصل والتضامن والوحدة بين أقطار المغرب العربي

الجزائـــر 2003

مقدمــة

يسعدنا أن نقدم للقارئ الكريم أعمال المغاربية التي نظمها المجلس الأعلى للغة العربية في فندق الأوراسي يومي 29-30 جوان 2003، وموضوعها: "دور اللغة العربية في التواصل والتضامن والوحدة المغاربية".

لقد اصبّت المحاضرات التي ألقيت في هذه الندوة في الاتجاه الذي يبحث واقع اللغة العربية في بلدان المغرب العربي على أساس أنّها اللغة الرسمية؛ باعتبارها لسانًا اتّفقت عليها الجماعة المغاربية، وهي اللسان الأساس ولغة موحدة وجامعة ومتقبلة للألسن التي كانت قبلها فقد ساعدت العربية على تجميع المجموعات البربرية الأمازيغية في إطار حضاري يتجاوز الأعراق والأجناس، ولذلك أصبحت العربية لغة موحِّدة وموحَّدة وليست لغة أحادية. ولذا احتلت وضعًا متميّزًا، كما نالت مكانة أساسًا في تحديد معالم الشخصية الوطنية وفي هوية الشعب المغاربي بأكمله.

يتضمن هذا الملف خطبة الافتتاح لفخامة رئيس الجمهورية السيـــــــــد عبد العزيز بوتفليقة الذي شرّف هيئة المجلس الأعلى للغة العربية بالرعاية السامية، والحضور الشخصي الذي أعلن فيه عن افتتاح الندوة.

وتأتي كلمة السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية د. محمد العربي ولد خليفة الذي ينوّه بدور اللغة العربية في التواصل بين المغاربة وهذا منذ دخول خليفة الذي ينوّه بدور اللغة العربية في

التواصل بين المغاربة وهذا منذ دخول الفاتحين أرض شمال إفريقيا. ثمّ كلمات الوفود ومسؤولي المؤسسات المغاربية التي أعطت الإشارات الكبرى لعامل اللغة ودورها الحقيقي بين أبناء المغرب العربي الذين لا تفرق بينهم الحدود.

وبعد هذ تجد أربع عشرة مقاله (14) متخصصة لأكابر علماء المغرب العربي، وللأساتذة الذين لهم الباع الخاص في مجال اللغة العربية، إضافة إلى مقالتين قدمتا بالنيابة عن أصحابهما.

ونظرة مختصرة للقواسم المشتركة في متون هذه المقالات، نجدها تعالج المسالة اللغوية منذ أصولها التاريخية، بدءًا من أول حركة كانت فيها اللغة عاملاً جامعًا، وقد أشارت المقالات إلى دور المساجد والزوايا التي كانت تعجّ بشيوخ العربية في كل من بجاية والزيتونة وفاس وطرابلس الغرب وأرض التكرر، وهكذا أبانت عن تجذّر اللغة العربية بين سكان هذه المنطقة، حتى أصبحت عصب الثقافة المغاربية، وكانت تمثّل الشكل اللغوي الأعلى الذي يحظى بالامتياز باعتبارها وعاء للثقافة العالمة، وبجانبها ثقافة شعبية، قامت فيها اللهجات العربية واللهجات المنبثقة عن الأمازيغية بدور الوسيط في التعامل اليومي.

نأمل أن يجد القارئ في هذا الملف ما يرضي شغفه العلمي وأن يكون باعثًا لمزيد من الندوات والملتقيات في نفس المسألة التي يجب أن يكشف عنها الغطاء لمعالجة قضايا أبعد وأعمق. هذا. وتبقى اللغة العربية بعدًا هامًا في استراتيجية البناء المغاربي الذي هو أكثر من ضرورة في عصر التجمعات الإقليمية والاقطاب وما يتهدد الثقافات الأصلية م اندثار وألسنتها من تهميش بسبب طوفان العولمة.

وفقنا الله لخدمة وطننا المغاربي الكبير، وخدمة اللغة العربية.

إشكالية الندوة

تحمل اللغة العربية تراثا حضاريا مشتركا، ساهمت في إثرائه الأقطار المغاربية، إلى جانب الأشقاء في المنطقة العربية والإسلامية، وكان من الطبيعي أن تكون اللغة العربية – وفق صيرورة تاريخية استمرت مئات السنين – الركن الثاني للهوية الوطنية والجماعية بعد الإسلام عقيدة التسامح والتضامن والتراحم، بين كل بني الإنسان.

لقد بقيت اللغة العربية الأداة الأولى للتواصل بين شعوبنا المغاربية، وعبر نتاجها الفكري والعلمي والجمالي، عن التضامن بين هذه الشعوب في السراء والضراء، وبخاصة أثناء فترة المقاومة والكفاح ضد المحتل، وهناك اليوم أدبيات زاخرة تمثل مرجعية مشتركة لبلداننا المغاربية، وتعتبر دليلا موثوقا على إمكانية تشييد صرح مغاربي متماسك بخطوات مدروسة تضمن له الانسجام والتكامل على المديين المتوسط والبعيد.

ولا ريب أن هناك إيمانا مشتركا، بين المثقفين والعديد من القادة، بأن تشييد الاتحاد المغاربي هدف استراتيجي يتطلب الكثير من الجهد والمثابرة، في إطار التشاور الرزين، وانطلاقا من الإمكانات المتاحة، والتجربة التاريخية الخاصة بكل بلد، بمنأى عن الاندفاعية، بل بالاستفادة من تجارب ماضينا القريب والبعيد، وتجارب التكامل والتعاون والاتحاد لدى غيرنا من المجموعات الاقليمية.

إن ما يتميز به مشروع الاتحاد المغاربي المنشود، هو اللغة العربية الموحدة، التي تمثل قناة التواصل والتبليغ المباشر، فهي كترنا المشترك، من المفيد-للجميع- أن يحظى بعنايتنا إذ لا توجد هذه الرابطة اللسانية في أغلب المجتمعات الإقليمية الموجودة في عالمنا المعاصر.

ولذا ينبغي ألا تتوقف تلك العناية على التنويه والتذكير بماضينا الحضاري المشترك، بل تتطلب تضافر جهودنا جميعا، للارتقاء بها لسانا ومضامين فكرية أو علمية أو أدبية، في إطار المنظمات العربية المشتركة مثل المنظمة العربية للثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، فضلا عن الجامعات ومراكز البحث المتخصصة في الأقطار المغاربية، والدور الذي يقوم به وسائل الإعلام، والمنشورات الموجهة للجمهور.

من المهم – كذلك – العمل على تكاتف الجهود لترقية اللغة العربية، وتحيينها بما يواكب عصر العلوم والتكنولوجيات المتقدمة، وتشجيع الدراسات اللسانية، والمقارنة والترجمة وتبني اللغة الفنية والمصطلحية التي تحظى بإجماع العلماء والخبراء على المستويين المغاربي والعربي الأوسع، والتفكير في تكوين مراكز بحث مشتركة، وتسهيل تبادل المنتوج الثقافي بكل أشكاله وتعابيره بين بلدان المغرب العربي.

إن المجلس الأعلى للغة العربية يسعى من خلال تنظيم الندوة المغاربية "مساهمة اللغة العربية في التواصل والتضامن والوحدة بين الأقطار المغاربية" إلى توسيع وتدعيم العمل المشترك بين الأشقاء

المغاربين في مجال اللغة العربية، وتنسيق الجهود، في إطار المنظمات القائمة، وبين مؤسسات دولنا المغاربية، والحث على الانتباه إلى مستقبل اللغة العربية وما تطرحه العولمة الراهنة من إشكاليات على ثقافتنا العربية ولسانها الجميل وهو ما يتطلب منا جميعا المزيد من الحرص والجهد والاجتهاد، والعمل المشترك بثقة بعيدا عن الغرور، وبإرادة راسخة في التطور والمشاركة الايجابي في عصرنا.

بناء على ما سبق يتشرف المجلس في إطار نشاطه السنوي، على بعث التشاور والتفكير، وتبادل الرأي والخبرة، في مسألة تحظى باهتمام الساسة والمفكرين في بلداننا.

إن الهدف هو تحقيق بناء مغاربي ثقافي يلبي طموحات شعوبنا في مزيد من التواصل والتضامن والتعاون على طريق وحدة مغاربية

ناضلت من أجلها أجيال عديدة، وعلى جيلنا من المثقفين أن يرسخ بناءها بعزم وتصميم وثبات.

محاور الندوة المغاربية: (مساهمة اللغة العربية في التواصل والتضامن والوحدة بين الأقطار المغاربية)

1.اللغة العربية والتراث المغاربي المشترك.

2.تطوير استعمال اللغة العربية في الاقطار المغاربية (التربية والتكوين والترجمة والاتصال).

3.اللغة العربية والتنمية المعرفية والاقتصادية المغاربية.

4.مساهمة مؤسسات الجامعة العربية في ترقية اللغة العربية في الأقطار المغاربية.

5.آفاق العمل المشترك، وإمكانات تنسيق الجهود في المستوى المغاربي والهجرة.

تاريخ ومكان انعقاد الندوة المغاربية

تعقد الندوة المغاربية في شهر جوان (الشهر السادس) 2003 بمدينة الجزائر بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

خطاب فخامة رئيس الجمهورية

السيد عبد العزيز بوتفليقة*

البناء المغاربي مطلب تاريخي ورهان على المستقبل

الزاهر في المنطقة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين،

أيّتها السيّدات الفضليات،

أيّها السادة الأفاضل،

أيّها الجمع الموقر،

إنه لمن دواعي السعادة والابتهاج، أن ألتقي في هذا اليوم الأغر، بنخبة من أهل الفكر والذكر، وصفوة من فرسان الكلمة والقلم، باللسان العربي المبين، من أهلنا ذوي القربى والرحم، شدوا الرحال إلى الجزائر من الأقطار المغاربية الشقيقة ليتبادلو الرأي مع أقرانهم في بلدهم الثاني الجزائر، في موضوع مساهمة اللغة العربية في خدمة هدفنا الأسمى، وغاية مسعانا الجماعي، ألا وهو تشييد صرح مغاربي يقوم على دعائم ثابتة ومتينة، تتحدى تقلبات الزمان وتزداد رسوخا وتماسكا على من الأجيال.

تعرفون أيها السادة العلماء أن البناء المغاربي ليس مجرد خواطر حالمة، أو مشروعا طوباويا، إن حقيقة تاريخية راسخة تقوم على معطيات موضوعية منذ قدم العصور جعلت من أقطار المغرب الكبير إقليما واحد متداخلا، بدون هذا التداخل الطبيعي يبدو كل قطر وكأنه عضو مبتور من الجسد الواحد.

ولذلك التداخل الطبيعي عمق روحاني هو عقيدة الوحدانية والتوحيد، الداعية إلى الإخاء والتسامح والتضامن، إذ كان الإسلام في مغربنا الكبير على الدوام العروة الوثقى، والملجأ الأمين للتصدي لنوائب الدهر وغوائله والحافز على تآلف القلوب وتكاتف السواعد.

لقد اعتنقت شعوبنا المغاربية الإسلام وتشريت اللغة العربية وساهمت بقسط وافر في إشعاع ثقافتها على حوض المتوسط بضفتيه، وأوصلتها إلى أعماق إفريقيا، بحيث أصبحت العربية لغة قادت حداثة العصر وخاصة ما بين القرنين العاشر والخامس عشر ميلادي.

اللغة العربية مقوّم أساسي للتواصل والاندماج الثقافي المغاربي:

أيّتها السيّدات الفضليات،

أيّها السادة الأفاضل،

ينبغي أن نؤكد وأنتم تقيمون ندوتكم هذه في الجزائر، وقد أحسن المجلس الأعلى اختيار موضوعها، أن الفضاء المغاربي في آفاقه السياسية والاقتصادية والثقافية، هو جزء من الوطن العربي الكبير، ننتمي وننتسب إليه جميعا وجدانا وتاريخا وحضارة، فهو أُمتداد لنا ونحن أُمتداد له، نسج اللسان العربي بين أقطاره روابط ثقافية متينة، تجذرت طيلة 14 قرنا، فكان العلماء يتنقلون بين أقطارنا، بلا حواجز ولا حدود ولا تأشيرات، يتعلمون ويعلمون في المعاهد والزوايا المنتشرة شرقا وغربا وفي عمق إفريقيا، ويجدون أنى حلو أكل العناية والحظوة والتكريم.

أيّتها السيّدات والسّادة،

أيّها الجمع الموقر،

يتطلب منا التقييم الصارم لماضينا القريب والبعيد، أُستخلاص العبرة والاستفادة من التجربة التاريخية لكل شعوبنا وأقطارنا، فلا فائدة على الإطلاق من الاكتفاء بإحصاء العثرات ورثاء ما فات، فقد تأكد بالبرهان مدى تآخي شعوبنا المغاربية وتضامنها قولا وعملا، ولقد آن الأوان للعناية بمقومات وحدتنا، ومن بينها اللغة العربية التي تحمل تراثنا المشترك وتقدم للبناء المغاربي أداة فعالة، وتجعل الاتصال بين شعوبنا ونخبنا المنتجة للمعرفة والفنون والآداب طبيعيا، سهلا وميسورا، وهذه ميزة لا تتوفر في كثير من التجمعات القائمة في قارات أخرى التي تضطر إلى التواصل عن طريق الترجمة، أو

اعتماد لغة دولية أخرى، قد تثير جدلا كما هو الحال في الاتحاد الأروبي الذي قطع أشواطا بعيدة في مجالات التكامل والوحدة.

تطوير اللغة العربية يتطلب تنسيق جهود مؤسسات البحث المغاربية:

إن اللغة العربية تتصدر كل دساتيرنا المغاربية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية تضع على كاهل قادتنا والصفوة من علمائنا والمبدعين في مجالات الفكر والفن، مسؤوليات كبيرة، فلا توجد لغة متقدمة أو متخلفة في حد ذاتها، إن وصف التقدم والتخلف يصدق على الأصح) على أهلها والناطقين بها، وليس هناك طريق آخر لرقي اللغة وعلو مكانتها في مجالها الجيوثقافي الطبيعي، والاعتراف بإسهاماتها على مستوى العالم، غير قيمة منتوجها الفكري وما تحققه من إنجازات في العلوم والتكنولوجيات المتقدمة.

إن الطريق الصحيح والصعب في نفس الوقت لإثبات كفاءة اللغة العربية الجميلة وثروتها التعبيرية الزاخرة يتمثل في تطوير البحث العلمي في مختلف فروع المعرفة وتطبيقاتها التكنولوجية، وتشجيع التفوق والإبداع بها في الآداب والفنون الجميلة وثروتها التعبيرية الزاخرة يتمثل في تطوير البحث العلمي في مختلف فروع المعرفة وتطبيقاتها التكنولوجية، وتشجيع التفوق والإبداع بها في الآداب والفنون الجميلة، وتسهيل انتشار المنتوج الثقافي بين الأقطار المغاربية، والوصول في المديين القريب والمتوسط إلى توثيق علاقات التعاون والعمل المشترك بين فرق البحث المغاربية المتخصصة في المعاهد والجامعات ومراكز البحث والتنقل الحر للعلماء والخبراء بين الأقطار المغاربية في انتظار تفعيل مؤسساتنا المغاربية التي تتولى التنسيق والتمويل والمتابعة.

الجزائر تسعى بنزاهة وإخلاص لترسيخ الأسس الدائمة للبناء المغاربي:

وأظنكم أيها السادة العلماء والخبراء تشاركونني الرأي في أن التقدم العلمي والتكنولوجي هو العلامة التي لا تخط على كفاءة أية لغة ، وهو اليوم مفتاح الثروة والقوة والمكانة الجيوسياسية والجيو اقتصادية بين الأمم، ولم يعد عدد السكان والمساحة الجغرافية ومخزون الثروات الطبيعية، يكفي وحده لتأكيد ثوابت القوة في أي بلد في العالم.

في هذا السياق الحضاري الذي تقوده عولمة قوية لا ترحم فإن أي تشبيت للجهود، أو تقاعس سوف يزيد حتما من اتساع الهوة التي تفصلنا عن موكب المقدمة، كما جاءت شبكة المعلومات الدولية (الأنترنيت) والشبكات الإلكترونية والاتصالات الفضائية، ولتجعل كل مادة لها علاقة بالعلم والتعلم أو بالفكر والثقافة قابلة للتبادل الفوري من أدنى مكان إلى أقصى مكان على وجه الأرض، وبالتالي أصبحت اللغة في صميم التنافس الثقافي، لأن كل هذا التبادل يتم من خلال وعاء لغوي معروف ومتداول ومستعملها يتعامل معها في نهاية الأمر من خلال لغته الوطنية، ولذلك ستبقى اللغة مفتاح العلم والتكنولوجيا والثقافة بكل مضامينها ووسائط توصيلها إلى أمد طويل.

لم تعد اللغة العربية بعيدة عن مفاهيم الشمية والتنمية والتربية والتكوين والتأهيل وترقية المورد البشرية، وقد بذلت جهود معتبرة طيلة العقود الخمسة الماضية، في كل أقطارنا المغاربية لترقية اللغة العربية ولا شك في أننا جميعا في حاجة ملحة لتطوير نظام التربية والتكوين في كل مراحله، وإعطاء مزيد من العناية للبحث العلمي، فالمدرسة هي المشتلة التي تبدأ منها التنمية وهي التي تصنع النخبة التي تقود الدولة وتنهض بالمجتمع وتنتج الأفكار الرائدة، وهي بكلمة واحدة رهاننا الأكبر على المستقبل في كل قطر وعلى تجمعنا الإقليمي كله، ومن الواضح أن ذلك الرهان ينبغي أن ينطلق من مقومات شخصيتنا الوطنية ورصيدنا التاريخي المشترك المتكون من عقيدتنا الإسلامية السمحاء، وخصائصنا الثقافية والحضارية، وفي مقدمتها لغتنا العربية، وينبغي كذلك أن نغرس في اذهان الأطفال والشباب ثقافة المواطنة والديمقراطية واحترام حقوق الانسان التي نصت عليها دساتيرنا ومواثيقنا والمحافظة على البيئة والمحيط الذي يعيشون فيه

وأن تتجه إلى تدريب أطفالنا على فن الحياة واكتساب المهارات والانضباط في أداء الحقوق والواجبات والتنافس على إتقان العمل والقيام على احسن وجه.

إن الحياة المعاصرة تقوم على الدقة والسرعة والمردودية الجيدة في الكم والكيف ولذلك ينبغي علينا أن نثري لغتنا ونعمل على تحيين ذخيرتها العلمية والتكنولوجية والجمالية لتساهم مع غيرها من اللغات الحية في تطورنا العلمي والتكنولوجي، وتفرض نفسها بلا عقد في مجالها الحيوي الطبيعي من داخل الصعيد المغاربي والعربي بوجه عام، وتأخذ المكان الذي تستحقه على الساحة الدولية.

والمطلوب من اليوم هو الإسراع بتكوين فرق مشتركة من الأقطار المغاربية، ومن علمائنا في الهجرة، وما أكثرهم تجمع كفاءات متعددة الاختصاصات من علماء اللغة المختصين في الحاسوبية والعلاج الآلي للصوتيات ووضع المعاجم ونشر رصيدنا اللغوية المشترك وإقراره باتفاق الجميع وتداوله في مجالات التربية والتعليم والاتصال وعدم التوقف عند مجرد التوصية والاقتراح، ومن الواضح ان ذلك يتطلب التنسيق بين هيئات البحث العلمي والمجامع المغاربية، ويقع على عاتق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب وهيئات الجامعة العربية الأخرى ومؤسسات الاتحاد المغاربي مهمة تنشيط هذا الجهد والاجتهاد.

تفتح العربية صميم العصر بمستوى منتوجها المعرفي والإبداعي والتكنولوجي

أيّتها السيدات والسادة العلماء:

إذا كانت المجامع اللغوية العلمية العربية في مؤتمرها المنعقد بدمشق سنة 1956 قد أوصت بتأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية بعد أن صرفت النظر عن اقتراح يقضي بإنشاء مجمع علمي عربي موحد يهتم بجميع العلوم على السواء، ويحل محل المجامع الإقليمية، فإنني أفضل إحياء هذا الاقتراح من جديد، أملا أن تتكاثف جهودنا نحن المغاربيين لتوحيد العمل الأكاديمي، وإنشاء مجمع واحد للغة والثقافة العربية يكون أشبه ببرلمان له فروع قد تكون متخصصة في

مجال معين من المعارف والعلوم والآداب، يضم أهل الفكر والذكر والخبرة، في انتظار أن يتسع ليشمل المنطقة العربية الناطقة بلغة الضاد، ولا ريب أن لهذا التوحيد أهمية كبرى لأنه سوف يساعد على الاندماج الثقافي المغاربي واحترام الخصوصيات والثقافات الفرعية وخاصة الأمازيغية بما تحمله من تراث عريق، هو جزء من تاريخنا وواقعنا الراهن، إذا كان العلامة الشيخ ابن باديس يتغنى بكونه أمازيغيا عربة الإسلام، فلم يفعل ذلك من منطلق الحقت ولا منطلق الاستفزاز أو الاستخفاف بالأمور الجوهرية، لقد كان يعرف دقائق الأمور الدخيلة في الضمير وينادي باحترامها لما لها من أبعاد تراثية متجذرة في ذاكرة التاريخ والشعوب لا تنفصل ولا تنفصم عن الهوية الفردية وعن الهوية والوطنية.

ولا تخفى عليكم أيها السادة العلماء أهمية العناية بتعلم اللغات الحية وفق بيداغوجية حديثة لصالح التنمية في بلداننا، وإذا وفقنا في التخطيط والبرمجة وتصنيف الأولويات، فإن لغتنا العربية ستكون المستفيد الأول من تحكم الطلاب والباحثين في اللغات الحية لأنها ستكون روافد وأدوات تغذيها بالجديد المبتكر في العلوم والتكنولوجيات وروائع الإبداع العلمي في الفنون والآداب التي تتدفق من كل حدب وصوب في كل لحظة ودقيقة، وهي في نهاية المطاف حق مشاع ساهم في تقدمه ورقيه العديد من الأمم والشعوب منذ مئات السنين.

وفي انتظار اليوم المأمول الذي يتنقل فيه الأفراد من المواطنين المغاربيين بحرية كاملة عبر بلداننا بمجرد إظهار بطاقة الهوية، ويصل التكامل الاقتصادي إلى مداه الطبيعي فتتبادل بلداننا السلع والبضائع عبر البحر والبر والجو في سوق مغاربية يمكن أن تتوجه خلال مدة وجيزة إلى أكثر من مائة مليون من السكان، فإننا نأمل في الأمد المنظور أن توزع الصحف والمجلات عبر الفضاء المغاربي كما هو الحال في الفضاء الأروبي، وأن تنشأ دور مشتركة للنشر، وشبكة توزيع للمقروء، فضلا عن البرامج المشتركة في محطات الإذاعة والتلفزيون، للتعريف أكثر بواقع الحال في بلداننا والتقريب بين شعوبنا، والتأكيد على المشتركات المصالح الاستراتيجية التي

تجمعنا التي تجمعنا في عالم يتجه نحو التكتل الجهوي كما هو الحال في القارة الأمريكية وجنوب شرقي آسيا وأروبا ودول الخليج العربي.

أيّتها السيدات الفضليات،

أيّها السادة الأفاضل،

إنّ الجزائر التي تشرفت بالرئاسة الحالية للاتحاد المغاربي، لم تألُ جهدا خلال السنوات الماضية لتوضيح الرؤية، وتعزيز الثقة بين القادة المغاربيين، والاعتماد على ما يتميزون به من حكمة وبعد نظر وإيمانا بمشروعنا الاستراتيجي، أمل شعوبنا منذ أمد بعيد، على الرغم من معاناة شعبنا في الجزائر من آفة الإرهاب وأخطبوطه العابر للحدود، وما لحق الدولة ومؤسساتها من تهديد وما تعرضت له التجربة الديمقراطية الناشئة من تشويه ومحاولات للتحريف والاختطاف، على الرغم من كل ذلك فإن الجزائر كانت تعمل بلا هوادة على تمتين أواصر التعاون والتشاور مع القادة المغاربيين، والإسراع إلى الاستفادة من كل فرصة لتعزيز التقارب وتفعيل مؤسسات الاتحاد المغاربي، وتشجيع منظمات المجتمع المدني وقطاعات الدولة للدخول في شراكة تجمع واحدا أو أكثر من الهيئات والقطاعات المماثلة في البلدان المغاربية.

نحن على يقين بأن مثل هذه اللقاءات ستكون خطوة مثمرة على الطريق نحو التقارب وتبادل الخبرة بين النخب المغاربية، فليس هناك أفضل من الحوار وتبادل الآراء والأفكار، لتحقيق مزيد من التعارف والتعاون بين بلداننا.

وإن ملتقاكم هذا يعد إحدى اللبنات الهامة في صرح مغربنا الواحد، نتمنى لكم فيه التوفيق والسداد والنجاح.

أعانكم الله على ما أنتم عليه مقبلين

وسدد الله خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة السيد عبد اللطيف عبيد باسم الجامعيين والأكاديميين التونسيين

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الرئيس

حضرات الاخوة الكرام والأخوات الكريمات.

خير الكلام ما قل ودل.

أعبر عن سعادتي وسعادة الوفد التونسي الذي يضم أستاذي الكريم الدكتور رشاد الحمزاوي، وزميلي الأستاذ محمد مختار العرباوي، لحضور هذه الندوة التي أرجو أن تتمخض عن توصيات عملية ترفع إلى قادة اتحاد دول المغرب العربي.

إن اللغة العربية حصن هويتنا، وأداة تنميتنا، ووسيلة تواصلنا فيما بيننا من جهة وبيننا وبين أشقائنا في أرجاء الوطن العربي الكبير من جهة أخرى، إضافة إلى أنها جسر يصلنا بماضينا وتراثنا.

بلاد العرب أوطـــاني من الشام لبغـــداد

لسان الضاد يجمعنا من قحطان وعدنان

وردت هذه المعاني واضحة جلية في الكلمة البليغة التي ألقاها فخامة رئيس الجمهورية الجزائرية منذ حين، في افتتاح ندوتنا المباركة، وهي كلمة جديرة بأن نتأمل فيها، ونعمل بها، وإن الوفد التونسي إلى هذه الندوة، ليقدر جهود الجزائر في خدمة اللغة العربية حق قدرها، ويتوجه بالشكر الجزيل إلى السيد رئيس الجمهورية، وإلى المجلس الأعلى للغة العربية، وكل العاملين فيه.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اللغة العربية

الوحدة والتواصل في المغرب العربي

أ. عز الدين ميهوبي

رئيس اتحاد الكتاب الجزائريين

سيدي الرئيس

أيتها السيدات، أيها السادة

عندما اختار منظمو هذه الندوة الفكرية الهامة مسألة اللغة العربية كعنصر موحد في منظومة الهوية المغاربة كانوا يدركون أن هذا الركن المتين يظل ثابتا في وجدان الشعوب ومتجددا في كيان الأمة.

فللمجلس الأعلى للغة العربية نجري التحية والعرفان لما يقوم به من تحريك للكوامن ودفع مستمر بل أسئلة التي تنسجم وراهن أمتنا.

ويشرفني، أيها الحضور الكريم، أن أتحدث في هذا اللقاء ومن هذا المنبر باسم اتحاد الكتاب الجزائريين، هذا التنظيم الثقافي والفكري العريق الذي يحي هذا العام ذكرى أربعين عاما على تأسيسه، وأستحضر بهذه المناسبة رواد الكتابة والإبداع في الجزائر أمثال مالك بن نبي ومولود معمري ومحمد العيد آل خليفة وجان سيناك وآسيا جبار ومفدي زكريا وعبد الله شريط وأبا القاسم خمار ومحمد العربي ولد خليفة وآخرين...

ويشرفني أن أقول لولا هذه اللغة التي هي محور هذا اللقاء ما ترك لنا كتابنا وأدباءنا تلك الروائع التي نعتز بها ونتباهى بها في لحظات المحبة والانتشاء.. ولولا تلك اللغة ما انعقدت مثل هذه الحلقات العلمية التي تجمع اليوم نخبة متميزة وممتازة لتتطارح في مسألة التواصل والوحدة من خلال اللغة العربية في فترة حرجة، ليست تلك التي نريد، ولا شيء سوى الاحتكام لنضالات الشعوب المغاربية التي آمنت أن الذي يوحدها ليس الأطلس الكبير الذي يمتعد على آلاف الكيلومترات، إنما الدين والدم واللغة والشعور الحاد بالانتماء لأمة لها مصير واحد...

إن بلاد المغرب العربي كانت على مرّ التاريخ جداراً في وجه الحملات الاستعمارية الغازية التي استهدفت ذات الأمة وشخصيها.

لقد قال القس زويمر غداة احتلال الجزائر: (ليس الفرض مت تعليم الفرنسية في شمال إفريقيا وخاصة في الجزائر أن نكوّن عقولا كعقول منتسكيو أو فولتير أو روسو ولكن الغاية من ذلك أن نعوض لغة بلغة وعادات بعادات). وكانت الحرب طويلة وشاقة من أجل الحفاظ على هذا اللسان. أليس اللسان أبرز أشكال التعبير عن الهوية؟

يقول الشيخ طاهر الحداد (نحب اللغة العربية حبا جعلنا نعتبرها جزءاً من ديننا حبا يكاد يفضي بنا إلى الجنون).. ويعزز هذا القول الكاتب مالك منصور محددا مكانة اللغة (تشكل اللغة العربية أحد المفاهيم الجوهرية لمكونات الأمة وشروط استمرارها وبقائها وديمومة حركة تقدمها وهي أداة تواصل حية وفاعلة بين الماضي والحاضر والمستقبل، وتشكل العمود الفقري التكوين الإيديولوجي والفكري والثقافي والنفسي لكل العرب) ويشيد الكاتب على شلق بقيمة اللغة العربية قائلا (بقيت اللغة العربية بينما أنتهى أمر فرعون وتبع وحيرام وآشور وسيبقى أمر اللغة العربية وحدها لنا وذلك كلغة للناس في وحدة لم يحلم بها صاحب مدينة فاضلة أو جمهورية سعيدة)، وأضاف مفكرون آخرون من بينهم شفيق الكمالي "أن اللغة هي التي تخلق الأمة" وقال محي الدين اسماعيل " إن للغة أداة الأمة في الإعراب عن حضرتها"، في حين يقول محمد المبارك "إن اللغة ليست شيئا مضافا إلى الإنسان وإنما هي الإنسان من حيث كونه كائنا اجتماعيا مبدعا. فتهديم اللغة للفرد ومن ثم الجماعة التي تنطق بها. إنه عصف بوحدة الأمة بل بوجودها المتطور وكينونتها المتميزة". ويقول المستشرق فإن ديك (إن العربية من أكثر لغات الأرض امتيازاً وهذا الامتياز من وجهين، الأول من حيث ثروة معجمها والثاني من حيث استيعاب آدابها).

بينما يوجه المستشرق الشهير لويس ماسينيون نصيحة إلى أبناء الأمة العربية..(وعلى أبناء الأمة العربية أن يصمدوا. فالعالم في حاجة إليهم وواجبنا أن نحثهم على احترام عربيتهم، هذا النظام اللغوي الصافي الصالح لنقل اكتشافات الفكر عبر القرون، فلا يحيلوها مسخا مقلداً للغات الآرية..لقد كانت وما تزال العربية لغة الحرية العليا، لغة وضوح الدهن ووحي القلب، لغة المفاجأة ولغة المعجزة، فهي تتميز بخصائص لا تتوفر عليها اللغات الأخرى.

- تركيبها الداخلي: التجويد والتروع إلى الكلية والشمول.
- القدرة على التعبير بجمل قصيرة ومركزة...)

هذه اللغة العربية، شكلت باستمرار الوسيلة الأفضل للتواصل بين شعوب المغرب العربي في كل مجالات المعرفة والتجارة والحكم.. ولعل من الأمور التي تستدعي ذكرا وإشادة هي التعايش الذي امتد على أزيد من خمسة عشر قرنا بين اللغة العربية التي وفدت مع الفتوحات الإسلامية واللسان الأمازيغي الذي لم يمت وظل متواصلا في الزمن، حاضرا في التاريخ منتشرا في الجغرافيا تلهج به الألسنة في الشوارع والبيوت ولم يحدث ذلك التصادم الذي كثيرا ما تعرفه اللغات الأصلية مع اللغات الوافدة والمهيمنة. فكان التسامح اللغوي سمة هذا التعايش الذي توج باعتراف رسمي في الجزائر باللغة الأمازيغية بمختلف تأدياتها كلغة وطنية تقع مسؤولية الحفاظ عليها وترقيتها على كل الجزائريين.

أيها الحضور الكريم: إن اللغة العربية، وهي لغة موحدة لأزيد من نصف مليار من الناطقين بها، وحدثت بعد سقوط الأندلس وانكماش المجتمع العربي حالة في الضعف والعجز جعل قاموس العربية يتراجع بشكل برز معه انتعاش اللهجات المحلية، ومثلما ظهر ملوك الطوائف في نهاية الحكم الأندلسي، ظهرت الطوائف

اللغوية، وبرزت الدعوات الرامية إلى إحلال العامة محل الفصحى، وكذا استبدال الحرف العربي باللاتيني...ودعوات منتشرة في كل مكان تبحث لها عن أتباع

وإذا كانت اللغة العربية من (جانب الإبداع اللفظي) لغة غنية، إذ يكفي أن الفراهيدي في كتابة (العين) قال بأن الكلام العربي فيه أكثر من 12 مليون كلمة أما ما يستعمل منها 5620 كما يؤكد ذلك الحسن الزبيدي، وقد رأينا كيف أن بعض الأسماء تحتوي على أكثر من 400 مترادفة لكل واحدة منها معنى يختلف عن الأخر...

وهذا يؤكد أن الاستخدام لقاموس العربية تراجع بصورة مثيرة تثبت أن اللغة تنمو ويتوسع قاموسها بتطور المجامع وقدرته على إنتاج المعرفة، وقد كان لبلدان المغرب العربي إسهامها المتميز عبر التاريخ، برواية الولي الطاهر ويؤكد عبد الوهاب البياتي أن (ظهور دعوات غياب الوجود الحضاري للأمة أو عصور الهزيمة والانحطاط). وعندما كتب قاسم أمين (الداعي إلى تحرير اللغة مثلما دعا إلى تحرير المرأة) متهما العربية بالصعوبة من حيث النطق بها دون شكل، حيث قال: (في اللغات الأخرى يقرأ الإنسان ليفهم أما في اللغة العربية فإنه يفهم ليقرأ، مثل كلمة (ع ل م) أمكنه أن يقرأها علم (معرفة) علم (راية) علم (درسّ) علِم (عرف بالخبر)... ولا يستطيع أن يختار واحدة من هذه القراءات إلا بعد أن يفهم معنى الجملة، فهي التيع تعيّن النطق الصحيح، لذلك كانت القراءات عندنا من أصعب الفنون).

أما سعيد عقل فيطرح فكرة العامية وكأن أحدا منا قام في الناس شاهرا سيفه ومهدداً الرعية إن هم تكلموا لهجة دون الفصحى ضرب أعناقهم. لم يقم أحد بهذا لأن العربية كما يقول النقاش لا تفرض (إرهابا لغويا ولكنها أيضا يجب أن تكون ضحية لبعض الثروات التي لا تستطيع أن تجد دعامة علمية على الإطلاق.

إن الحفاظ على اللغة لا يتم من خلال التحجر فيها، لأن اللغة وأعني بها كائنا حيا متطورا لا نحوا وصرفا، تحتاج من شبابها ثورة وتجديداً، فالثورة الحضارية الشاملة لا بد أن تؤدي إلى إحداث ثورة عميقة في التعبير أيضا، والثورة في التعبير لا تعني بالطبع تغيير النحو والصرف وأما أشبه، بل تعني منح جسد اللغة الذي يبلى ويتهرأ بفعل التقادم والسكونية جسد ديناميكيا يولد عبره ومنه. لهذا فأن الدعوة إلى إحياء اللغة العربية في البلدان العربية وخارجها مرتبطة أساسا بتطوير اللغة العربية وبعثها من جديد في ثوب قابل للحياة، ومادامت أمم أوروبا تعمل على تطوير لغاتها فإن العرب معنيون بأمر التطوير أكثر من غيرهم، ولكن هناك فرق بين التطور والتطوير كما يقول د. محمد محمد حسين (التطور أن تفرض عليها (اللغة) قوانين قاهرة. أما التطوير فهو سعي مفتعل للتطور) فالتطور يفرض نفسه أما التطوير فنحن الذي نفرضه. وهكذا فإن خروج العربية من مأزقها في ظل العولمة الكاسحة الماسحة يتطلب تطوراً وتطويراً !

وفي هذا السياق يقول المفكر نجيب محمود (عندي أن الأمل المنشود بعد أن تتطور اللغة العربية) بحيث تحقق شرطين:

- أن نحافظ على عبقرتيها الأدبية أولا.
- أن تكون أداة للتوصيل لا مجرد وسيلة لترنم المترنمين ثانيا.

ختاما...تمنياتي للندوة بكامل النجاح.

والسلام عليكم.

المؤسسة الإعلامية ولغة التواصل العربي
البث الفضائي... بين الواقع والآفاق

أ.عبد الله مليطان (ليبيا)

لا شك أن اللغة هي واحدة من أهم الخصائص المميزة للإنسان وتتجلى أهميتها في قدرة الإنسان على وضع الكلمات، وصوغ الرموز التي تمثل ظواهر عالمية الخارجية والداخلية.

والاهتمام باللغة يمكن فيما تمثله بالنسبة للأمة من قدرات وإمكانيات، "وفيما تتجلى شخصية الأمة وعبقريتها، فأي استهتار باللغة القومية هو استهتار بالقيم التي يمثلها وجود الأمة"[1] ولهذا نلاحظ أن كثيرا من الصراعات السائدة في عالمنا المعاصر تنصب

1 اسماعيل الملحم (وسائل الاتصال الحديثة ووحدة الشخصية القومية للأمة العربية) مجلة الوحدة السنة (5) العدد (54) مارس 1989م ص 129.

باتجاه سيادة القوميات بكل ما ينضوي تحتها من مرتكزات ومكونات للهوية، وفي مقدمتها اللّغة.

فاللغة هي إحدى مقومات الأمة نظرًا لدورها في تجذير الشعور بالانتماء إلى مجموعة لها خصوصياتها الثقافية، وهي إحدى العناصر الأساسية للهوية التي لا يقتصر مضمونها على التضامن المكون للذات الجماعية بل يمتد إلى الفاعلية التاريخية التي تتجلّى –عبر اللغة- في المقدرة على المشاركة في الإنتاج الحضاري، أي في الإضافة الفكرية، لأنّ الهوّية بناء تاريخي متجدّد، وهذا يعني أن اللّغة هي في صلب ديناميكية التطور[2] وهي أيضا ليست مجرد وسيلة للتخاطب، وليست وعاءً يختزن أفكارنا، ومشاعرنا، ومعتقداتنا، ورسائلنا فحسب بل هي قناة الاتصال بجذورنا الموروثة، وهي ذريعة لأمل الوحدة، وهي بداية من بدايات تأسيس الهوية التي نحن في أمس الحاجة إلى التدثر بها، وسط حشد من قنوات فضائية متلاطمة متزاحمة بأفكار متباينة، تحشد الإمكانات لتحقيق عنصر الجذب ولاستمرار التبعية الفكرية، ومن ثم الحضارية[3].

وإذا كان من الطبيعي أن كل مجتمع ينطوي أفراده على تباين في المدارك العقلية، وفي الطباع النفسية والأحوال المعيشية، فإنه يستتبع ذلك أيضا تباين على صعيد التعبير اللّغوي والأداء الفنّي، حيث لم تسلم اللغة منذ البداية من اللحن بسبب عوامل عدة، ربما كان أكثرها وضوحا هو ما حدث لها نتيجة التقارب والاختلاط الذي فرضته ظروف الفتوحات الإسلامية من ناحية، وامتزاج الثقافات من ناحية أخرى بحكم التفاعل، والتلاقح الطبيعي بين الأمم.

---

2 عبد القادر بن الشيخ (البرامج الإذاعية والمسألة اللغوية) مجلة الإذاعات العربية، العدد الثاني 2000م ص26.

3 محمد نجيب التلاوي (مساءلة حضور الفصحى في وسائل الإعلام) مجلة الإذاعات العربية، العدد الثاني 2000م ص 56.

وقد روى لنا رواد التأليف الأدبي والمعرفي عند العرب أن اللحن كان موجودا من فجر الإسلام حتى عهد الفتوح الذي شهد احتكاكا وتفاعلاً بين العرب وسائر الأمم حتى إن من الأعراب من كان يتلو آيات التنزيل الحكيم على نحو خاطئ عن جهل بمضمونها، وقد بلغ مرة مسامع عمر بن الخطاب أن أحد المصلين كان يؤم المصلين ويلحن في بعض آيات القرآن، فغضب الخليفة، وأزاحه عن الإمامة[4].

ولما كانت ظاهرة اللحن تشكل خطرًا كبيرًا على اللغة فقد واجهها القدامى بشكل كبير، ولم يسمحوا لها بأن تستمرئ خوفًا من شيوعها بين الناس بما يساعد على تفكك وحدة الكيان القومي، ويهدد هويتهم، كما هو الظاهر من موقف عمر بن الخطاب عندما بلغ مسمعه من يلحن في قراءة آيات التنزيل.

وحديثا عن ظاهرة اللحن هنا التي شاءت مجموعة من الظروف والعوامل أن تنتشر وتتفشى في أوساط المجتمع العربي خلال القرون الأولى وما بعدها لا يعني أننا نريد تسويغ ما يحدث للغتنا الآن عبر قنواتنا الفضائية فالأمر تجاوز مسألة اللحن إلى ما هو أبعد من ذلك، إذ أصبحت قنواتنا الفضائية لا تلحن فحسب بل تتحدث لغة أخرى قد لا نكون مبالغين إذا قلنا إن بعض ما يبث عبرها ن مواد لا علاقة له بالعربية الفصيحة، حيث إن جل خطابها الإعلامي الذي تقدم به برامجها المباشرة، وأغانيها، وأعمالها الدرامية باللغة المحكية "العامية" التي عادة ما تختلف من قطر لآخر مبحرة من خلال ذلك باتجاه تجسيد الإقليمية في الوقت الذي كنا نترقب من هذه القنوات – بما تملكه من قدرة على التأثر –أن تعمل على ربط جسور التواصل بين أقطارنا وأن تتجه نحو توحيد صفوفنا وتراصها، لمواجهة ما يحدق بنا من أخطار في زمن العولمة الذي أصبح فيه العالم قرية صغيرة يمكن أن يعرف سكانها كل ما يحدث في أي بقعة من بقاعها في ثوان.

إن التحولات الفكرية والحضارية، والتطورات التكنولوجية الهائلة التي يشهدها التاريخ المعاصر تدفعها إلى أن نتساءل هل حققت فضائياتنا من الدور الذي كان ينتظر منها إزاء اللغة العربية بعد مرور

4- عمر الدقاق (اللغة المحكية في أدب الجاحظ) مجلة عالم الفكر، المجلد (17) العدد (2) سبتمبر 1986م ص 164.

كل هذه السنوات على انطلاقها في هذا العالم الذي تلاشت فيه الحدود، ولم يعد فيه للتاريخ مكان ولا للجغرافية أي أهمية تذكر.

هذا هو محور هذه الورقة التي أريد من خلالها أن ألامس جوهر هذ الموضوع الحيويّ الذي يفرض علينا الواقع معالجته في ظل هذه الظروف الحرجة من تاريخ أمتنا العربية المهددة في أهم في اهم مقومات وحدتها من خلال لغة خطابها اليومي الذي يصل بين مشرق الوطن ومغربه، لا سيما ونحن نتابع اليوم على مسرح الأحداث العالمية تلك الفضاءات الكبرى التي تشكل كل يوم لتجمع شعوبا مختلفة مشتتة لا تربطها أية رابطة. غير أن وسائل الاتصال المدهلة استطاعت بمعزل عن كل الاختلافات المتابينة في ثقافتها، ولغاتها وتراثها ومعتقداتها أن تجمع شتاتها، وتوحد كلمتها، وموقفها وقرارها السياسي أيضا.

لا شك أن ثورة الاتصالات التي يشهدها العالم منذ عقود، وما رافقها من سطوة وسائل الاتصال الحديثة، وانبلاج عصر السماوات المفتوحة. يجعل من صناعة البرامج الإذاعية والتلفزيونية مسألة حيوية يتوقف عليها مصير الأمم ويزداد الأمر خطراً كلما تعلق الشأن بأمم ذات حضارة عريقة قادت العالم، واحتلت موقع الصدارة الحضارية، وأدركت مدارج التفوق والتألق على مدى قرون، كالأمة العربية[5] من خلال تمسكها بلغتها العربية الفصيحة وحرصها على استخدام هذه اللغة بما يعزز حفاظها على هويتها وكيانها القومي.

ووسائل الإعلام اليوم ليست بحاجة إلى العاميات لتقوم بهذا العمل، إذ ليس عليها سوى الغوص في أعماق اللغة العربية، واستخراج ما يلزمها لصناعة لغة إعلامية حية، متحركة، تضاهي أكثر اللغات الإعلامية تقدمًا، مستخدمة مرونة اللغة العربية، وقدرتها الفائقة على التأقلم، وطاقتها الكبيرة التي تختزنها في داخلها.

إن مسؤولية البث الفضائي تستوجب أن تعمل هذه التقنيات الحضارية على توحيد لغة الخطاب العربي، لتتواصل جسور التآخي بين الشعوب العربية، إلى مستوى الأحداث التي تعيشها أمتنا العربية في ظل التكتلات العالمية، وهو لا يمكن تحقيقه إلى بتوجيه لغة

5- أبو بكر بلحاج (اللغة العربية في الإذاعات والتلفزيون بين ثوابت الكيان وثقافة الحداثة) مجلة الإذاعات العربية، العدد الثاني 2000م ص 66.

الخطاب نحو لغة واحدة، وهي اللغة الفصيحة المشتركة التي تفهم في كل قطر عربي. وعندما نقول الفصيحة هنا، فإننا لا نعني بها تلك اللغة الجامدة المحنطة التي تجعل العربي يعيش بها في عزلة عن عصره، وما استجدت فيه من أحداث، وما يعيشه العصر من تطورات تكنولوجية بل نعني بها اللغة السهلة المبسطة التي تتواءم ومتطلبات الحياة اليومية المعاصرة، وتستلهم كافة المستجدات الحياتية التي تتطور يوما بعد يوم بفعل العقل البشري المستنير. ذلك إن قنوات البث الفضائي بإمكانها اليوم أن تنجز ما لم يكن بمقدور أية وسيلة اتصالية أخرى إنجازه لصالح اللغة الفصيحة، فهي تمتلك الإمكانيات الكبيرة التي تمكنها من شد انتباه المشاهدين، وبإمكانها أن تصل إلى حيث يوجد الإنسان في أي مكان من العالم، عبر ملامسته أزرار صغيرة يسيرة يستطيع أن يتعامل معها الصغيرة والكبير حتى وهو مستلق على سريره وفي غرفة نومه. وهنا نسأل: إلى أي مدى استطاعت الفضائيات العربية أن تسهم في الحفاظ على اللغة بوصفها إحدى أهم مقومات هويتنا؟ هل أسهمت حقا في الاضطلاع بالدور المناط بوسائل الإعلام دعامة من دعامات جسور التواصل من خلال لغة خطابها اليومي أم أن تعددها، وتنوع برامجها زاد في اتساع الهوة بين اللغة وأهلها؟ وهل استطاعت حقا أن تحد من ازدواجية الخطاب السائد بين الناس "الفصحى والعامية"؟

إنّ الفضائيات العربية اليوم وهي تبث إرسالها على مدار الأربع والعشرين ساعة باتت تشد مشاهديها بعدد من البرامج المتنوعة تنحصر في –عمومها- في البرامج المباشرة، والأغاني، والأعمال الدرامية، والإعلانات التجارية مستخدمة من خلالها أحدث التقنيات التقنيات التقنيات الفنية والاتصالية وأرقاها ويمكن هنا أن نلقي نظرة عن مجل تلك المواد التي تبث عبر القنوات:

***أولا- البرامج المباشرة:** تعتمد البرامج الحية والمباشرة في مادتها أساسا على إفساح المجال لعدد كبير من المشاهدين، وذلك من خلال المشاركات الهاتفية التي ترد من مختلف الأقطار العربية، ومن الجاليات العربية أيضا الموجودة في مختلف الساحات العالمية التي تتباين لهجاتها إلى جانب اللّغة التي تتزاوج فيها العامية بالكلمات الأجنبية التي تتحدثها الجاليات العربية المهاجرة.

وأغلب هذه البرامج، هي عبارة عن برامج مسابقات تختلط فيها الأسئلة الجادة بالأسئلة التافهة، وهي تستهلك وقتا طويلا من ساعات البث الإذاعي أما البرامج الحوارية فعادة ما يستضاف فيها فنانو الدرجة الثالثة الذين يعتمدون على الهرج والتلاعب الألفاظ الجوفاء وغالبا ما تلقى عليهم أسئلة مكررة، تدور أغلبها عن أحب الآكلات، وأجمل الألوان، وأنواع السيارات، وعدد الزوجات والأبناء، وأسباب الطلاق ونوعيات بدل السهرة أو الفساتين إلى غير ذلك من الأسئلة الباهتة التي لا يجني المشاهد من ورائها أدنى قائدة. وبالطبع فإن لغة الأسئلة والأجوبة –أيضا- هي اللغة المحلية السائدة التي قد لا تمت للعربية الأم بصلة.

***ثانيًا- الأغاني:** تستحوذ الأغاني على مساحة كبيرة من وقت برامج الفضائيات العربية، وهي –في عمومها- سهلة الألفاظ سطحية التعبير، وغريبة الإيقاع والتعابير، ليس فيها من فن القول أي شيء فتبدو كلمات مرصوفة، وخليطا غير متجانس من الألفاظ التي لا معنى لها، والتي يحتاج فهمها إلى أن تعاد مرة واثنتين ولن نبالغ إذا قلنا: عشرة، ناهيك عن موسيقاها الصاخبة إلى حد الإزعاج وإذا نظرنا إلى هذه الأغاني التي تعرضها فضائياتنا –للأسف- لوجدنا أن أغلبها باللهجات المحلية الدارجة، حيث استغلت هذه القنوات تقنيات الصورة في انتزاع انتباه المشاهد بما تستعرضه من الجميلات، وهن يتراقصن بأجسادهن وحواجبهن في شكل مثير للغرائز، وجاذب للشهوات.

وفي كثير من المقابلات التي تجريها فضائياتنا مع أبرز نجوم الغناء تلاحظ –وللأسف كذلك- أن كثيرين منهم يفتخرون بأنهم يغنون بالعامية، وحجتهم في ذلك أن الغناء بالعامية يكون أقرب إلى المتلقي، وأن التجاوب معه سيكون أكبر. في الوقت الذي نرى فيه أن مئات الملايين من العرب لا يزالون حتى الآن في انسجام مع تلك الروائع الفصيحة التي تغنت بها أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ، وغيرهم من عمالقة الطرب العربي.

***ثالثا- الدراما:** تستقطب القنوات الفضائية بتركيزها الكبير على الأعمال الدرامية من مسلسلات وأفلام وسهرات جموعًا كبيرة من المشاهدين، بمختلف الأعمار، ناهيك عن المسلسلات المكسيكية

المدبلجة التي باتت تغزو فضائياتنا بشكل لافت للانتباه وتستحوذ العامية على لغة تلك الدراما، إلى جانب استغلالها للتاريخ والسير وسيلة للإساءة إلى العربية الفصيحة، على الرغم من التزام بعضها نوعا ما – بالفصحى، ولكنها تقدم الحوار بمفردات بعيدة عن لازمات العصر التعبيرية، مع اتهجم والغضب في أكثر الحورات، والافتعال في مستوى الأداء الصوتي، وطريقة أدائه من الممثلين، وهي أمور تقدم اللغة العربية في شكل افتعال لا انفعال مما يقطع وشائج الصلة بينها وبين المشاهدين والمستمعين[6].

***رابعا – الإعلانات:** على الرغم مما تحققه الدعاية والإعلان عبر البث الفضائي من فوائد إرشادية واقتصادية، وما تحصده من رواج وانتعاش للاقتصاد العربي، فإن لغة أغلب المواد الإعلانية والدعائية التي تبثها الفضائيات العربية هي العامية، وبأسلوب سمج جدا مع اعتمادها الكامل على أسلوب الإغراء الرخيص الذي تسخر له أجمل الفتيات الفاتنات لشد الانتباه، ولفت الأنظار، وهي الطريقة التي تسهم بشكل مؤثر في ترسيخ العامية، وتجذير المحلية والقطرية خاصة وأن صياغة المادة الإعلانية عادة ما تعتمد على السجع والجمل الموسيقية التي تشد الأسماع.

وبعد كل هذا. نقول: إن الوقوف على واقع هذه البرامج يقضي بنا إلى نتائج تعكس توجها يتصف باتساع مساحة توظيف اللهجات المحلية، وبداية تقلص منزلة العربية الفصيحة، وإذا استثنينا عينة من البرامج فرضت مادتها ومواضيعها وصفة المشاركين فيها منذ انبعاث البث المرئي بتوظيف اللّغة العربيّة لغة تخاطب فإن نسبة هامة من المضامين المصورة – وقد تتجاوز نصف ما يبث يوميا- تنطلق باللهجة "المحلية"[7] على الرغم ن أنّه بإمكان تلك القنوات أن تسهم بجد فعال في اتجاه تعليم العربية وانتشارها بما يتوافر لديها م إمكانيات لشد الانتباه، ولانتشارها بسرعة فائقة، غير أن الذي حدث هو تساهلها مع العربية مطلقة العنان للعاميات بحجة أن المشاهد يفضل استعمال العامية، وينفر من البرامج باللّغة الفصيحة، مع أن الخطاب الإعلامي باستخدامه العربية الفصيحة يسهم إسهاما كبيرًا

---

[6] - محمد نجيب التلاوي، مرجع سابق ص 52.

[7] عبد القادر بن الشيخ، مرجع سابق ص 26.

في تنمية الحس التذوقي بجمالية هذه اللّغة أو بالأحرى في "تربية التذوق اللغوي" وهذا ما تسعى إليه جميع الأمم مستخدمة وسائل الاتصال الحديثة[8].

إنّ التخلي كلياً أو جزئيًا عن العربية والركون إلى العاميات قضية لا علاقة لها بالمسألة الاتصالية البحتة على صعيد جماهيري، حيث لا تقدم حلولا ناجعة بل تزيد المشكلة تفاقما بمرور الزمن، ذلك لآن معطيات التطور الثقافي المذهل في مجال الإعلام الجماهيري الأرضي، والفضائي خاصة، تتنافى منطقيا وعقليا مع انتشار العاميات، وترسخ صلاحية العربية الفصيحة في الخطاب الإعلامي، وتعمق القناعة بضرورة تعميمها قدر الإمكان في كل الإعلام حاضرا ومستقبلا، لعدد من الأسباب نذكر منها:

1. اجتياز هذه القنوات حاجز الأمية مع فئات اجتماعية لم يستطع الإعلام المطبوع فك عزلتها، ومن هنا فإن استخدامها للغة العربية الفصيحة ضمن اطر متكيفة، من شأنه أن يحقق اقتراباً بينها وبين عامة الناس فقد كانت العربية في الماضي مغلقة على قطاعات جماهيرية واسعة، وبفضل هذه الوسائل أصبحت في متناول الجميع، يتعامل معها الأمي وشبة الأمي، وهي بذلك فرصة نادرة لترسيخ لغة الضاد، وحصر العاميات بكل أنواعها وتفرعها في أضيق نطاق ممكن.
2. إن اللغة العربية الفصيحة تعطي امتداداً عظيماً للإعلام الجماهيري، لأنها مشتركة بين مئات الملايين من الناس داخل المنطقة العربية وخارجها، في حين أن العاميات تسير به نحو التقوقع والانحسار والمحلية، ولذلك لا يعقل أن يضع الإعلام اللغة العربية، تلك الأداة الثمينة التي ضمن له مساحات شاسعة من الانتشار موضوع نقاش، في وقت تبحث فيه جماعات إنسانية أخرى عن توحيد وسائل بثها الجماعي وتحقيق انتشار إقليمي وعالمي لإعلامها، محاولة استنباط طرائق وتقتنيات مختلفة لاجتياز عقبة اللغة[9]

فريال مهنا (لغة الإعلام العربي بين الفصحى والعاميات) مجلة الإذاعات العربية، العدد الثاني 2000م ص 32.[8]

[9] - المرجع السابق ص 31.

إن اتجاه القنوات الفضائية إلى لغة الخطاب علامي هو تحد صارخ للعربية الفصيحة التي يفترض أن تكون هي لغة الخطاب السائد عبر هذه الوسيلة، توثيقاً لجسور التواصل بين أقطارنا العربية، وذلك لأنها بالإعراض عن الفصيحة تنمو باتجاه قطع الصلة بالماضي، وهو ما ينشأ عن تطور اللغات العامية تطورا يزيدها اختلافا، ويقوي عوامل التفرقة الجهوية والاقليمية في العالم العربي، ويضعف الوحدة في الشعور والاتجاة[10] وحول خطورة هذا الاتجاه ينبه الدكتور "شوقي ضيف" بقوله: "لو تمادت الإذاعات العربية في البث بالعاميات لانفكت الصلات التي تربط بين شعوب الأمة، وانعزل كل شعب عربي وعاش وحده، بينما شعوب الغرب في أوربا المتعددة اللغات تجمع شملها في تكتلات اقتصادية وسياسية واحدة كالاتحاد الأوروبي"، كما يشيد الدكتور "ضيف" بالتزام الأقسام العربية في الإذاعات الأجنبية باللغة العربية الفصيحة على عكس الإذاعات المحلية في العالم العربي، ويتعجب من تمسك الأقسام العربية في الإذاعات الأجنبية باللغة العربية الفصيحة دون أي لحن أو خطأ في حين تقوم الإذاعات في العواصم العربية وطن الإعلام العربي بإشراك العامية مع اللغة الفصيحة في بثها"

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه "فصول في قفة اللغة" أنه لا يصح أن نجعل النصيب الأوفر من البرامج بالعامية من أجل الأميين؟ إن ما يحدث من طغيان العامية في الأغاني والتمثيليات والبرامج في الإذاعات العربية، لا نظير له في أية إذاعة أوربية مثلا، مع كثرة اللهجات المحلية هناك، وما ذلك إلا لأن أصحابها آمنوا بالوظيفة الأولى للإذاعة، وهي التوجيه لا الانتقاد"[11].

إن لغة الخطاب الفضائي لا يمكن أن توثق جسور التواصل بين الأشقاء تستوجب صياغة واضحة وسهلة، وبمعزل عن

---

[10] - أحمد عبد السلام (استكشاف السبل) طرابلس – تونس – الدار العربية للكتاب ط بلا1982م ص 108.

[11] - رمضان عبد الثواب (فصول في فقه اللغة) القاهرة- مكتبة الخانجي، ط3/1987 م ص424.

التصنع، والمغالاة، والجمل الشعارية المقولبة بحيث يمكنها أن تستمر إقبال الجماهير على مشاهدة ما تبثه الفضائيات في الارتفاع باللهجات العامية التي تقدم بها بعض القنوات الفضائية برامجها كي تصبح الألفاظ الفصيحة وتعبيراتها الواضحة أكثر تداولا على الألسن تمهيدا لتعميم استعمال اللغة العربية الفصيحة في جميع البرامج، إذ أن هذه اللغة هي الأساس الأول للثقافة العربية، وتعميم استعمالها يمكن الإذاعات المرئية العربية من تجاوز العوائق المحلية فيحقق لها بذلك مخاطبة جمهور أوسع، ويجعل برامجها أكثر صلاحية للتبادل بين مختلف البلاد العربية[12] والإذاعات المرئية العربية إن بعض الداعيين إلى استعمال العامية في البث الفضائي يعللون ذلك بأن الواقع يفرض هذا الاستعمال فالجمهور الذي تخاطبه هذه القنوات بضم شرائح أمية وشبه أمية، أبجدياً معرفيًا وثقافيًا، وهو ما جعل العربية الفصيحة تشكل حائلا اصطلاحيا، وتواصليا لا يمكن تخطيه إلا باللجوء إلى العاميات التي تضفي على العملية الاتصالية للإعلام المسموع والمرئي وضوحا وحميمية، كما أن أكثر الإذاعات والتلفزات التي تدخل العاميات إلى أغلب موادها تظن ان استعمال العامية هو الوسيلة ولبنان هما البلدان العربيان الأكثر استخداما للعاميات، الأولى مستندة إلى تراث سينمائي عريق استطاع نشر هذه اللهجة في كل العالم العربي، والثانية لاعتقادها أن العصرنة والتطور ومحاكاة الأمم الأكثر تقدما تستوجب الابتعاد عن اللغة الفصيحة واللجوء إلى العاميات، على الرغم من أن سائر البلدان المتقدمة تستخدم اللغة الفصيحة واللجوء إلى العاميات، على الرغم من أن سائر البلدان المتقدمة تستخدم اللغة الفصيحة فحسب في موادها الإذاعية والتلفزية، بما فيها الأعمال الفنية كالدراما والمسلسلات والبرامج الترفيهية.[13]

---

[12] - عبد العزيز شرف (وسائل الإعلام لغة الحضارة) القاهر – مؤسسة المختار ط2 (ب.ت) ص 189.

[13] - فريال مهنا، مرجع سابق ص 32.

وبمعزل عن كل ما يقال حول مضار استخدام العامية مع تشديد الحرص على أن تكون العربية هي لغة الخطاب في البث الفضائي فإننا نلاحظ أن المتلقي العربي يواجه في كثير من الأحيان صعوبة بالغة في فهم العامية التي يتحدثها هذا البلد الآخر، بما يؤدي بالمتحدث إلى تكرير العبارة الفصيحة كأنما يترجمها، وفي هذا إضاعة للجهد، وهدر للوقت إضافة إلى ما يصاحب ذلك من مشاعر الإحباط القومي[14] ولو جوزنا لقنواتنا الفضائية أن تتجه نحو استخدام العامية، فأي عامية يمكن أن تعتمدها؟ إذ من المعروف أن هناك عاميات ولهجات محلية لا حصر لها في المنطقة العربية، وهي عاميات شديدة الاختلاف فيما بينها. وهل يعني هذا شيئا آخر سوى أن اللغة العربية ستضطر إلى تشتيت نفسها في اتجاهات متعددة، تقودها إلى التبعثر الكامل لأن العاميات مجتمعة ستكون قادرة على ابتلاعها[15].

إن وسائل الإعلام، يجب أن تكون موجهة لا موجهة، وهذا يعني أنها لا يصح أن تتملق عواطف الجمهور، أو تجري وراء نزواته، بل يدب أن توجهه، وتأخذ بيده، وتقود إلى حيث تريد، فلهذا السبب وجدت، ومن أجله تعمل، فلا يصح أن تنسى وظيفتها الأصلية، وتنساق خلف تحقيق الرغبات الجامحة للجمهور[16] وتبني بعض وسائل الإعلام العربي للعامية أمر له خطورته المركبة لسرعة انتشار وسائل الإعلام ولأن هدم العربية الفصيحة بالعامية قد جاء بمعاولنا ومن داخلنا هذه المرة وكأننا حفرنا لأنفسنا الخنادق المضادة للتجاوز، لتحقيق رغبة استعمارية فشل الاستعمار في الفوز بها سابقا[17] واقتراب الإعلام من عامة الناس ومن الحياة العملية واليومية، ولا يعني أبدا هبوط العربية الفصيحة إلى العاميات، وإنما يعني أن يلبي هذا الإعلام حاجات السواد،

---

[14] - فريال مهنا، مرجع سابق ص 30.

[15] - عصام سليمان الموسى (اللهجات العامية في وسائل الإعلام الالكترونية) مجلة الإذاعات العربية، العدد الثاني 2000م.

[16] - رمضان عبد التواب، مرجع سابق ص 424.

[17] - محمد نجيب التلاي، مرجع سابق ص 51.

وأن يتمثل مشكلاته، وأن يسهم في إيجاد حلول لهذه المشكلات، وأن يرتقى به من اللغة العامية إلى اللغة الفصيحة[18].

ونخلص في النهاية أن مستعملي العاميات عبر قنوات البث الفضائي إنما يعانون جهلا وعجزا في إتقان اللغة العربي، والإحاطة بها، متوهمين أن العامية أسهل وأقرب، من خلال اختلاطهم بالسواد الأعظم من الجمهور الذي يتحدث بفطرته العامية، إلى جانب عجزهم عن تذوق جماليات العربية وإبداعها، وهو ما ينسجم مع مخططات الدوائر الاستعمارية التي لا يروق لها أن يكون هناك ما يربط العرب في رابطة واحدة، مثل اشتراكهم جميعا في التخاطب بلغة واحدة، ناهيك عن الخطر الذي يتمثل في الابتعاد عن التراث بما يجعل الأجيال القادمة في قطيعة مع الماضي وبذلك يسهل تجزئتها وتقسيمها.

وفي الختام أضع أمامكم مجموعة من التنبيهات والمقترحات التي ينبغي أن نهتم بها وهي:

أولا: تنبيهات عامة:

1.إن التمسك بحرفية اللغة العربية إلى حد التعصب، ورفض الاتجاه نحو مواكبة اللغة للتطور هو الذي دفع بقنواتنا الفضائية إلى التخلي عن اللغة الفصيحة واستخدام لغة خطاب وسطى.

2.إن اللغة دائما في حاجة إلى التطور لأنها إذا ظلت كما هي عليه في القواميس القديمة قد تصبح مع مرور الزمن عاجزة عن التعبير عن الحياة.

3.إن التساهل في استعمال اللغة الفصيحة لغة للخطاب الإذاعي الفضائي هو الذي أسهم في نشر ما يعرف بالعربية الوسطى التي هي ليست بالعامية وليست بالفصحى والتي شكلت لغة ثالثة تخلط الفصيح بالعامي.

4.ضيق مساحة الممارسة العملية لنطق العربية الفصيحة أسهم في انتشار الأخطاء اللغوية.

---

[18] - فريال مهنا، مرجع سابق ص 33.

5.ضرورة دراسة أسباب توسع اللهجات المحلية على حساب الفصحى، واتخاذ الخطوات الكفيلة لحل تلك الإشكالية، ابتداء من الأسرة وانتهاء بوسائل الإعلام الفضائي مع الانتباه إلى أن الغرب قد وظف حركة الاستشراق من أجل إحياء اللهجات القطرية، والتشجيع على دراستها وتدريسها في المعاهد والجامعات الأوروبية متصورًا بأن اللغة العربية الفصيحة سيؤول أمرها حتما إلى الاندثار كما آل أمر اللغة اللاتينية قبلها.

6.يجب أن تدرك مجامع اللغة العربية أن رسالتها ليست السهر على سلامة العربية من التحريف بل أيضا بعث اللغة العربية وإحياؤها لتواكب تطورات الحياة ومستجدات العصر وضروراته.

7.توطيد العلاقة بين الجامعات ومراكز البحث العلمي في الوطن العربي وبين القنوات الإعلامية العربية، والدعوة إلى توحيد جهودها، وتنسيق أعمالها من أجل وضع الخطط والبرامج التي تساعد على تحسين اللغة، والنهوض بها.

8.الدعوة لإقامة علاقة حميمية بين الإعلاميين ومجامعنا اللغوية، من أجل الحفاظ على سلامة النطق، والابتعاد عن الأخطاء، والترويج لجهود تلك المجامع اللغوية حتى لا تبقى معزولة عن الجماهير.

ثانيا: ملاحظات للفضائيات:

1.استخدام اللغة العربية الفصيحة في القنوات الفضائية سيجعل من برامجها برامج يشاهدها الجميع، وسيخلق استخدام هذه البرامج للفصحى مناعة مستمرة تجاه عوامل التجزئة، مع ملاحظة أنن أخطاء الإعلاميين لها أخطارها الجسيمة على اللغة، لأن إمكانية انتشارها تتسع باتساع دائرة بث القنوات الفضائية.

2.ابتعاد منشطي البرامج الفضائية عن الفصحى يرجع إلى جهلهم باللّغة العربيّة وبيانها، وقصورهم عن نطقها وإتقانها، والإحاطة بها إلى جانب عدم قدرتهم على صياغة عبارة فصيحة سلسلة يقدمون من خلالها ما يودون قوله للجمهور.

ثالثا: المقترحات:

1.إعداد الكوادر الفنية الجادة والقادرة على التعامل مع المشاهد والواعية لمسؤولياتها جيدا إزاء اللغة، بحيث لا اتكون مغرقة في الكلمات والتعبيرات الغريبة أو الشادة التي تنفر المشاهد ولا تستخدم الجمل أو العبارات المسطحة، وألا تعمد إلى ازدواجية الخطاب بين الفصيح والعامي أو تزج بالكلمات الأجنبية التي أصبحت –مع

الأسف-مع التقليعات اللازمة عند بعض منشطي كثير من البرامج.

2.الانفتاح على التجارب العالمية في مجال الاتصال، والاستفادة من خبراتها في مجال الإخراج وإنتاج الأعمال والبرامج من أجل تطوير الأساليب القديمة التي بات يملها الجمهور، والسعي نحو استثمار ذلك لخدمة اللغة العربية.

3.تعميم اللّغة العربيّة الفصيحة عبر البرامج التي تقدمها القنوات الفضائية يمكن من تجاوز عوائق المحليات مما يجعل تلك البرامج صالحة للتبادل بين مختلف البلاد العربية.

4.تشكيل لجان متخصصة في اللغة الإعلامية بمستوياتها المتنوعة تتبع الأخطاء اللغوية، وتضعها أمام المذيعين للإفادة منها بتقديم مادة خالية من الأخطاء، وذلك بالأسلوب الشائق الذي يساعد على متابعتها.

5.الإفادة من إقبال الجماهير على الدراما والبرامج الترفيهية، بحيث يمكن توظيفها توظيفا سلميا يبتعد عن المباشرة والتسطيح والابتذال إلى جانب توظيف الإعلانات التجارية لخدمة اللّغة العربيّة الفصيحة من خلال اختيار الجمل والعبارات السهلة، والسليمة، والجذابة التي تشد المشاهد، وتحقق الهدف من وراء الإعلان.

6.الاهمام بأبناء الجاليات العربيّة في مختلف الدول الأجنبية، وذلك بتقديم البرامج التي تخاطبهم مباشرة، وتلامس قضاياهم بما يسهم في ربطهم بهذه القنوات حتى لا يكونوا بمعزل عن لغتهم الأم.

7.إعلان قنواتنا الفضائية "عاما للغة العربيّة" تتظافر فيه جميعها من أجل الدعوة إلى اللّغة العربيّة الفصيحة وتتحول فيه لغة الخطاب في برامجها إلى لغة فصيحة وأغانيها إلى قصائد مختارة ترتفع عن الكلام الهابط والعبارات المبتذلة.

على المستوى القطري والقومي:

*اللغة العربية مرتبط بوضع وتطوير سياسة وطنية وجهوية للغات

أ. عبد الحميد مهري (وزير سابق)

إخواني أخواتي، لقد أخدت على غرة، فلم أعدّ لهذا المجلس تدخلا محددا لغيابي عن الجزائر في أشغال أخرى، ووددت لو أن تدخلي يكون في مناقشة عامة أساهم فيها بأفكار متقطعة، لكن وأنا أدعى للإدلاء برأي عام قد يساعد على إنارة القضايا التي طرحت في هذا الملتقى، أعتقد أن كل ما تقوم به المؤسسات والأفراد من أعمال فكرية وعلمية منصبة على تطوير اللغة العربية يبقى محدود الأثر إذا لم يندرج في إطار سياسة لغوية إما قطرية أو جهوية أو قومية، وأعني بهذا أن كل القضايا الفكرية والعلمية مطروحة هي في حاجة إلى سند سياسي يدعمها.

واما الوضع اللغوي العام في بلادنا فهو نتاج تفاعل اجتماعي طبعا، ونتاج صلات خارجية للعالم الذي حولنا، ولكنه أيضا ناتج عن سياسات مخططة ومنفذة بدقة، وهذا صحيح وواضح بالنسبة للغة الفرنسية مثلا في أقطار المغرب العربي، لكنه واضح أيضا في سياسيات التعريب التي طبقت منذ الاستقلال، وواضح أيضا في المطلب الأمازيغي القائم، فهناك

لهذه القضية شق موضوعي لغوي، وهناك شق ساسي، وهذا يصدق أيضا على علاقة اللغة العربية الفصحى بالعامية. فكل هذه القضايا تأخذ أشكالا مختلفة، وتنتهي إلى نتائج متضاربة إذ لم نحاول فهمها وتسليط الضوء السياسي عليها.

إن الواقع اللغوي في الجزائر يتميز بتضارب يكان يكون مطلقا على الأقل في أذهان الناس من التعريب والحاجة إلى اللغات الأجنبية، بين والتعريب والتكفل بالمطلب الأمازيغي بين استعمال اللغة الفصحى واستعمال العامية، فإذن أعتقد أن كل المهتمين بتطوير اللغة العربية يجب أن يحاولوا فهم ما يجري حولنا بالدوافع السياسية أيضا مما يجعل لهذا البعد السياسي وزنا خاصا، هو أن ما حولنا هي سياسيات لغوية مدروسة نأخذ مثلا اللغة الفرنسية في الجزائر، وفي مجموع المنطقة المغاربية، هي نتيجة سياسية، ليست سياسة انقطعت بل استقلت منها سياسة حاضرة الآن.

وما يمكن أن نأخذه على الإخوة الذين يفكرون باللغة الفرنسية ليس اهتمامهم بضرورة الأخذ باللغات الأجنبية باعتبارها أداة لا مناص لهذا التطور والاتصال بالغير والإفادة منه، ولكنهم يخلطون بين التمكن من اللغة الأجنبية والهجرة إلى اللغة الأجنبية، ثم المأخذ الثاني أنهم يهملون التعمق في سياسة الفرنكوفونية التي هي شيء مغاير تماما لموضوع اللغة الفرنسية المجاورة. وللفرنكوفونية أدبيات منشورة ومعروفة ومحددة يكفي أن نأخذ منها بعض الأمثلة: موضوع الازدواجية اللغوية مثلا، الازدواجية مقولة مطلوب تطبيقها في بلدان المغرب العربي، وهي تعني عدة حاجات: أولا محاولة إقصاء الطرف الثالث الذي هو الانجليزية، ثانيا محاولة توزيع الوظائف بين اللغة العربية واللغة الفرنسية، لكن الازدواجية اللغوية ليست مطلوبة في النظرية الفرانكوفونية في أوربا مثلا.

في أوربا الدعوة يجب أن تنصب على التعدد اللغوي لأنه، -وهذا قيل وكتب-إذا طبقت فإن بلدان أوربا تختار لغاتها الأصل، وتختار الانجليزية بدلا عن الفرنسية. إذن الموقف الفرنسي في أوربا هو التعدد اللغوي، والموقف الفرنسي في المغرب العربي هو الازدواجية العربية وتطبيقها سيضمن سنوات عدة.

وعند الاستقلال نرى الجنرال ديغول ودوبري كانا أول الناس اللذين جعلا من اللّغة العربيّة في الجزائر مادة إجبارية بالنسبة لجميع الجزائريين في مرسوم صدر سنة 1961، لكن الجنرال ديغول يقول في مذكراته بأن التعليم يجب أن يكون باللّغة الفرنسية وإذن فمهد الفرنسيون لاستقلال الجزائر بإصلاح زراعي على مقاسهم، وبتصنيع على مقاسهم في مشروع قسنطينة، وبسياسة لغوية ثقافية على مقاسهم أيضا، فجعلوا اللّغة العربيّة إجبارية وطمحوا إلى إحلال الفرنسية لغة تعليم في الجزائر. أما الإنجليز قلم يكونوا إلى حد ما يعتنون كثيرا بوضع سياسة في مستوى الدولة لنشر لغتهم لأنهم يعتقدون أن الانجليزية قادرة ومهمينة على أن تخدم نفسها بنفسها.

وفي السنوات الأخيرة ومع المد الأمريكي أصبحت هناك خطوط سياسية لغوي واضحة بالنسبة على الإنجليزي وترجمتها، وكنت منذ أيام في اجتماع مكنني من الاطلاع على ما يجري من مشاريع إصلاح التعليم في الوطن العربي، وفي الخليج العربي بصفة خاصة، وملخصه: قليل من الإسلام وكثير من الإنجليزية وهو ما يطبق عندنا: قليل من الإسلام وكثير من الفرنسية. ثم هناك من المسلمات والمنطلقات البديهية في السياسية الفرانكوفونية هو التبكير بتعليم اللغة الفرنسية، وهو شيئ مشروع من وجهة نظرهم لأنهم يعتقدون، وهو واقع، أن اللّغة تسبق السلعة، فهي تمهد لكل بقية العلاقات، وأعتقد أن الاتجاه الرسمي عندنا هو التبكير باستعمال اللّغة الفرنسية، فهل هذا مطلب موضوعي يتماشى مع بيداغوجية تعليم اللّغات مثلا نرى أن العكس هو الصحيح فالتطور التربوي والبيداغوجي في تعليم اللّغات منذ أكثر من نصف قرن كان يرمي إلى تقليس مدة تدريس اللّغة، وتدريسها بشكل أفضل. فكل الجهود التي بذلت طيلة هذه السنوات مع تطور وسائل التبليغ والتعليم ترمي إلى تقليص مبدأ تعليم اللّغة الأجنبية، فنحن ذاهبون في الاتجاه المعاكس لما تمليه أحدث ما حققه البحث البيداغوجي في تعليم اللّغات هذه بعض الأمثلة. ثم إن هناك مثلا في موضوع الفرانكوفونية إدراكا بأنّ الأسود يعتقد أنّ اللّغة هي الأقرب بأن يصير أبيض مثلما يقول فرانز فانون.

إننا في حاجة إلى اللغات الاجنبية للتحصيل على العلوم والتقنيات لكن عندما ندرس تقارير وزارة الخارجية الفرنسية مثلا والتعليمات الاساسية التي تسير عليها وتطبقها في موضوع التعاون التقني والعلمي مع الدول

الأخرى نجد قاعدة أساسية هي: يجب أن يكون كل تعاونه تقني أو علمي متصلا بتطوير اللّغة الفرنسية.

بالنسبة لنا هذهن اللّغة وسيلة للوصول إلى العلوم والتقنيات، لكن التعاون التقني والعلمي وسيلة لتمكين اللّغة الفرنسية. فالوعي بهذه الحقائق يؤدي بنا إلى ضرورة أن كل الجهود التي تبذل في الميدان الفكري والتقني والعلمي لتطوير اللّغة العربيّة يجب أن يندرج في سياسة وطنية للّغات أو سياسة مغاربية اللّغات، ومعناه أنّه في الإمكان أن نضع سياسة منسجمة ترمي إلى تطوير اللّغة العربيّة وتحصيل اللّغة الأجنبية مع الأخذ بعين الاعتبار المطلب الأمازيغي، والاهتمام أيضا بالعاميات التي أشار إليها ابن خلدون عند تعرضه للشعر الملحون، وتبناها واعتبر أن الشعر الملحون هو شعر وأن الذين ينكرون قيمته إنما ذلك فساد في عقولهم. فإذن لنامن تراثنا ما يكفي لوضع سياسة لغوية تساند جهود العاملين في مختلف الحقول لتطوير اللّغة العربيّة، وأعتقد أن أساس تراثنا الذي عرفناه في الأوراق الصفراء وهذا ما كنا نقرأه في المستظرف:

حفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاة

فليس يحفظ دين إلا بحفظ اللغات

وإذن، دون عقدة تجاه اللغات الأجنبية لا سلبًا ولا إيجابًا، بإمكاننا أن نطور اللّغة العربيّة وأن تحتل مكانها دون الانغلاق والأخذ بأسباب التقدم والانفتاح على العالم.

المتطلبات الأساسية لتأهيل اللغة العربية لتحقيق التواصل والتضامن والوحدة بين الأقطار المغاربية.

أ.د.علي القاسمي
مكتب تنسيق التعريب – الرباط

أولا: دور اللغة المشتركة في التواصل والتضامن والوحدة:

توجد في العالم ما يتراوح بين 3500 و 5000 لغة، بحسب التصنيفات النوعية المتعددة، التي تتباين من حيث منطلقاتها ومعاييرها ولما كان عدد دول العالم يبلغ 237 دولة، أصبح من الطبيعي أن تتوفر كل دولة على عدد من اللّغات، تختص كل لغة منها بمنطقة جغرافية معينة أو تضطلع بدور مخصوص في التواصل، وهكذا تعددت المصطلحات التي تعبر عن أنواع اللغات أو مستوياتها أو وظائفها الاجتماعية، مثل: اللغة الأم، اللغة الأولى، اللغة الوطنية، اللغة الرسمية، اللّغة المحلية، اللّغة الفصيحة، اللّغة الفصحى، إلخ (أنظر الملحق للوقوف على جميع هذه المصطلحات وتعريفها).

ولكن الدول والتجمعات الدولية تعمل بوعي على تبني لغة رسمية واحدة، وتسعى إلى تعميمها وتنميتنها، وذلك إدراكا منها لدور اللّغة المشتركة "في ترسيخ الوحدة الوطنية، وتدعيم التماسك الاجتماعي، وتحقيق تساوي الفرص أمام المواطنين"[1]. وهذا ما دعا المفوضية الأوربية في بروكسل، مثلا، إلى اعتماد اللغة الفرنسية لغة رسمية للاتحاد، بعد أن اعتمدت اليورو عملة موحدة[2].

وتستطيع اللّغة المشتركة الاضطلاع بدورها في تحقيق الوحد ة الوطنية وتدعيم التماسك الاجتماعي من خلال قيامها بثلاث عمليات هي: (1) تعميم منهجية تفكير واحدة بين المواطنين، (2) إشاعة مثل وقيم ومعايير مشتركة، (3) مساهمتها في التنمية الاقتصادية. وسنتناول هذه الأمور بإيجار فيما يلي:

1.تعميم منهجية تفكير واحدة: تُعرف الثقافة بأنّها منهجية تفكير تختص به جماعة وتميزها عن بقية الجماعات الإنسانية. واللّغة هي الوجه الآخر لعملة الثقافة، فهي أداة نعبر بها عن الأفكار والمعلومات والمعارف

---

[1] . « Quelle politique pour le français et le plurilinguisme ? » in : http:/www.culture.fr/culture/dglf/politique-langue.htm.

[2] .AFP, Bruxelles (8/12/2002), «Le Français : Langue officielle européenne ».

والخبرات، ووسيلة لحفظ التراث الثقافي ونقله من جيل إلى جيل. وتؤثر القوالب اللّغوية في الانماط الفكرية التي تعبر عنها، كما تؤثر الأواني المستطرقة في شكل السائل الذي تنقله. ولهذا فإن الفلاسفة يحاولون دراسة الفكر غير الملموس من خلال دراسة اللّغة الملموسة، أصواتًا وصرفًا ونحوًا ودلالة.

2.إشاعة مثل وقيم ومعايير مشتركة: إنّ استخدام لغة مشتركة في البلاد يؤدي حتما وبمرور الزمن إلى اكتساب الناطقين بها مثل وقيم ومعايير مشتركة، لأن اللّغة تحمل تلك المفاهيم في طيات أمثالها وأقوالها السائرة وحكمها وقواعدها التي يحفظها الناس عن ظهر قلب ويتداولونها في حياتهم اليومية أو يتعلمونها في مناهجهم وكتبهم المدرسية المدونة بتلك اللّغة، ولاشك في أنّ هذه النقطة مرتبطة بما سبقها، لأن منهجية التفكير التي تفرزها ثقافة معينة تضم في مكوناتها منظومة المفاهيم المشتركة المؤلفة من المثل والقيم والمعايير المرعية.

3.اللّغة والتنمية الاقتصادية: تختلف قطاعات الاقتصاد من حيث اعتمادها على اللّغة، كما وكيفًا وقد نثبت أن الاقتصاد العولمي الجديد مبني على المعرفة، بحيث أن النمو الاقتصادي في أي بلد يرتبط بالنمو العلمي والتقني للقوى العاملة فيه، وبسرعة تبادل المعلومات والمعارف والخبرات. ومعروف أن أداة هذا التبادل هي اللغة، كما أن أداة تبادل السلع في السوق هي العملة.

وكلما كانت العملة موحدة في السوق، أصبحت عملية التبادل أيسر وأسرع وبالمقابل كلما كانت اللّغة موحدة في البلاد، ازدادت وتيرة النمو الاقتصادي. فالتعاون بين أفراد المؤسسة الاقتصادية أو المصنع يتم عبر اللّغة، ويصير هذا التعاون أكثر فاعلية كلما كانت اللّغة موحدة ويتقنها الجميع، وإضافة إلى ذلك فإن نقل المعارف والتقنيات من منابعها العالمية إلى المراكز الوطنية المعنية يتم كذلك عبر اللّغة، أي الترجمة[3].

ثانيا: متطلبات تأهيل اللّغة العربيّة للاضطلاع بدورها التوحيدي:

اللّغة العربيّة هي إحدى اللّغات العالمية الكبرى، فهي لغة القرآن الكريم، المصدر الأول للشريعة الإسلامية التي يعتنقها أكثر من مليار ونصف

. محمد مراياتي (2002) "أثر اللغة العلمية التكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي" في أسئلة اللغة، إعداد الفاسي الفهري وتورابي بريسول، الرباط: معهد
[3] الدراسات والأبحاث للتعريب.

مليار مسلم في جميع قارات العالم، وهي لغة اثنتين وعشرين دولة عربية تشغل موقعًا استراتيجيا في خريطة العالم وتتوفر على ثروات بشرية ومادية هائلة، وهي أطول اللّغات الحية عمرًا وأثراها أدبًا وفكرًا وهي إحدى اللّغات الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة ووكلاتها المتخصصة مثل اليونسكو، ومنظمة الصحة العالمية، والمنظمة العاملة للطيران المدني.

بيد أن اللّغات تشبّه بالكائنات الحية من حيث نموها أو تعرضها للاندثار، طبقًا لقانون الاستعمال والإهمال الذي ينص على أن "كل عضو يستعمل ينمو ويكبر، وكل عضو يمهل يضمر ويصغر". ولكي تتمكن اللّغة العربيّة من الاضطلاع بدورها في التواصل والتضامن والوحدة بين الأقطار المغاربية، لا بد من اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنميتها وتأهيلها لهذا الدور الحيوي. ويتم هذا التأهيل عن طريق تبني سياسة لغوية تتألف من العناصر التالية:

1.محو الأمية وتعميم استعمال اللّغة العربيّة الفصيحة: في حين أن الطفل يكتسب اللّغة الدارجة في المنزل والحي، فإن اكتساب اللّغة الفصيحة يحتاج إلى تمدرس وتلقين ووسائل إعلام. فكلما ارتفع المستوى الثقافي للمواطنين، اقتربت لغتهم الدارجة من الفصيحة. ولكن نظرة خاطفة إلى تقارير التنمية البشرية التي يصدرها سنويًا البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، تبين لنا أن معدل تعليم البالغين في الدول العربية لا يتعدى 55 من السكان الذين تتجاوز أعمارهم 15 سنة، وأن معدلات الالتحاق في التعليم الابتدائي والثانوي وبرامج محو الأمية لا يتجاوز 67[4]. وهذا يعني أنّ نسبة كبيرة من السكان تبقى في منأى عن استعمال اللغة العربية الفصيحة، اللّغة المشتركة لاتحاد المغرب العربي.

ولا يمكن التخلص من هذه الأمية الضاربة إلا بتفعيل إجبارية التعليم الأساس وإجبارية محو الأمية.

2.تكثيف استخدام اللّغة العربيّة في تكنولوجيا الاتصال: أشرنا قبل قليل إلى أن نمو الاقتصاد المبني على المعرفة يعتمد إلى حد كبير، على الاستفادة من المعارف العلمية والتقنية وتكنولوجيا الاتصال. وتؤدي شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) دورًا مركزيًا في تكنولوجيا الاتصال وتحقيق التنمية البشرية لما توفره هذه الشبكة من فرص تنموية مثل توفير

---

[4].البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية لعام 2001.

المعلومات، والبريد الإلكتروني، والتعليم الإلكتروني، والتجارة الإلكترونية، والعمل عن بعد للمعوقين، إلخ.

وتشير الإحصاءات المتعلقة باللغات المستعملة في شبكة المعلومات الدولية إلى أن الإنجليزية تستحوذ على 99 من المواقع المسجلة على الشبكة، وأن اللّغة العربيّة تأتي في المرتبة الخامس من لغات الشبكة، وأنّ بعض الدول المغاربية لم يتم حتى الآن ربطها بالشبكة[5].

ولكي تستفيد الدول العربية عموما، والمغاربية خصوصًا من تكنولوجيا الاتصال، ينبغي عليها وضع خطة تتضمن الإجراءات الأساسية التالية:

أ.أن تفرض الدولة على جميع مؤسساتها الحكومية والأهلية إنشاء مواقع لها باللّغة العربيّة على شبكة المعلومات الدولية.

ب. قيام الجامعات والمعاهد العليا بتكييف جميع برامجها الدراسية تدريجيًا لمتطلبات التعلّم الإلكتروني.

ج. تشجيع الأساتذة والباحثين والكتّاب على إنشاء مواقع لهم باللّغة العربيّة على الشبكة، وتزويدهم بما يلزمهم لتحقيق ذلك من معدات وبرامج مجانًا.

د. التعاون في ترجمة البرامج الحاسوبية المختلفة إلى اللّغة العربيّة.

3. مواصلة توحيد المصطلحات العلمية والتقنية باللّغة العربيّة:

من أجل أن تكون للبلاد العربية لغة علمية وتقنية مشتركة، أناطت جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي يوجد مقرها بتونس) مهمة توحيد المصطلحات العلمية والتقنية بمكتب تنسيق التعريب بالرباط. وقد نشر المكتب، حتى الآن، ما يقرب من أربعين معجمًا للمصطلحات الإنجليزية والفرنسية ومقابلاتها العربية الموحدة التي أقرتها مؤتمرات التعريب العربية في مختلف العلوم والفنون (انظر قائمة هذه المعاجم في الملحق رقم2). وقد تمكن المكتب من إنشاء بنك المصطلحات في مقره واتخذ له موقعًا على شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت)، لإتاحة المصطلحات العربية الموحدة ومقابلاتها الإنجليزية والفرنسية لمن يحتاجها من الباحثين والمختصين. ويقوم المكتب بتحيين

---

[5] محمود إبراقن (2002) "الإنترنت: دراسة اتصالية ومصطلحية" في مجلة اللغة العربية التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد السابع، ص 299-338.

وتحديث هذه المعاجم وإضافة التعريفات للمصطلحات في ضوء المستجدات العلمية والتقنية ونمو المفاهيم. ولكن المكتب فقير في إمكاناته البشرية والمادية، ولا بدّ من دعمه لمواصلة عمله بصورة مثمرة.

4.تعريب لغة الإدارة والتجارة والتعليم في جميع مراحله: إن إصرار بعض الدول المغاربية على استخدام لغة الاستعمار القديم الفرنسية في الإدارة والتجارة والتعليم العالي على الرغم من استقلال هذه الدول منذ عقود من السنوات طويلة، لا يمكن تبريره مهما قدمنا من ذرائع، وسيؤدي إلى تحويل اللّغة العربيّة إلى لهجة فقيرة معدومة الموارد والتجديد، ويقضي على قاموسها اللغوي بالتوقف والجمود، فتسمى مقتصرة على التعبير عن الحاجات اليومية الموروثة عن الأجداد، كما يقول الدكتور محمد العربي ولد خليفة[6].

ولكي تكون اللّغة العربيّة مواكبة للعصر، قادرة على أداء دورها في التواصل والتضامن والوحدة في الأقطار المغاربية، لا بدّ أن تستخدم في جميع مراحل العليم ومستوياته وتخصصاته، خاصة العلوم والتقنيات والبحث العلمي. أضف إلى أن استخدامها في هذه المجالات سيساعد على انتشار المعرفة العلمية والتقنية بين أوسع جماهير الشعب التي لا تتقن اللغات الأجنبية، وبالتالي سيسهم في تحقيق التنمية البشرية المنشودة.

5.الترجمة إلى اللغة العربية ومنها: توصلنا في دراسة أجريناها حول "الترجمة في تجربة المغرب العربي" إلى أن الترجمة مازالت هواية عشوائية غير منتجة. ولكي تكون هذه الترجمة موثّرة في تأويل المعرفة المنقولة وتأصيلها وتيسير الهجرة الحقيقية للأفكار والمناهج والأساليب إلى المجتمع المتلقي، لا بدّ من إنشاء مؤسسة مغاربية للترجمة لتحديد أولوياتها، واختيار موادها، وتنسيق عملياتها، وإنجاز ترجمات موثوقة تستجيب لاحتياجات التنمية البشرية خاصة في مجال العلوم والتقنيات[7]. ولكن لن يكون هنالك إقبال على الترجمة العلمية ما دامت الحاجة منتقية إليها بسبب تدريس العلوم النظرية والتطبيقية بلغة أجنبية. ومن ناحية أخرى تستطيع المؤسسة المغاربية للترجمة اختيار كتب عربية وترجمتها إلى اللغات العالمية، إسهامًا في التواصل الحضاري والتبادل الثقافي.

---

[6] .محمد العربي ولد خليفة (2002)، "الثقافة واللغة والمجتمع" في مجلة اللغة العربية بالجزائر، العدد السادس، ص 17 -40.

[7]. علي القاسمي (2002)، "الترجمة في تجربة المغرب العربي" في مجلة اللغة العربية بالجزائر، العدد السابع، ص 43-91.

6. تنمية اللغات الوطنية الأخرى إثراء للغة العربية: إنّ دعوتنا لتأهيل اللّغة العربيّة لتكون أداة تواصل وتضامن ووحدة بين الأقطار المغاربية، لا تعني بأية حال إفال اللغات الوطنية الأخرى في هذه الأقطار، كاللّغة الأمازيغية العريقة التي ينبغي تنميتها كذلك بوصفها رافدًا ثقافيًا أساسيًا في مجرى الحضارة المغاربية والعربية والإنسانية. فالتعددية اللّغوية والثقافيّة ليست حقًا من حقوق الإنسان التي نحرص على احترامها فحسب، وإنما كذلك عامل من عوامل الإثراء اللّغوي في البلاد. ولا شك في أن أي سياسة لغوية رصينة في الأقطار المغاربية ستأخذ في النظر مسألة تعليم اللّغات الوطنية الشقيقة، وتنمية ثقافاتها، وترجمة نصوصها إلى العربيّة وبالعكس[8]. إنّ دعوتنا إلى الاتحاد المغاربي والوحدة العربية ليست نابعة من تعصب عرقي أو توجه شوفيني أو تفكير عدواني، وإنّما من رغبة في بلوغ أمتنا مكانة دولية مرموقة في عالم تحكمه التجمعات الدولية ولا مكان فيه للضعيف، ومن رغبة في إنشاء سوق عربية مشتركة لا مندوحة عنها في اقتصاد معولم وتعدّ شرطًا أساسيًا من شروط نمو اقتصادي يؤدي إلى تحسين نوعية حياة أبنائنا ورسم مستقبل أفضل لهم، في زمن "لم تعد فيه قوة أي بلد هي حاصل جمع إمكاناته الذاتية مهما كان حظه من تلك الإمكانات، وإنما قوته الحقيقية تتمثل في حاصل جمع إمكاناته بإمكانات جيرانه الأقربين وأشقائه الأقربين والأبعدين"، كما يقول الشاعر اليمني الدكتور عبد العزيز المقالح[9].

7. تدريس اللغات الأجنبية: إنّ تنمية اللّغة العربيّة لا تعني إهمال تعلّم اللّغات الأجنبية، فهذه اللّغات هي النوافذ التي نطل منها على ما يجري في العالم من نشاط علمي وثقافي "وانحسار هذه اللّغات عن الساحة العلمية يستتبع حتما حصرنا في دائرة ضيقة تحدّها أسوار العزلة التي تعني الجمود"، كما يقول الدكتور كمال بشر[10]. وإضافة إلى ذلك، فإنّ تعليم اللّغات الأجنبية لأبنائنا يساعد في تمتين عرى التعاون مع الشعوب الناطقة بتلك اللّغات، وتيسير التبادل الثقافي والتجاري معها.

8. **تعليم اللّغة العربيّة لغير الناطقين بها:** إنّ نزول القرآن الكريم اللّغة العربيّة ليس تشريفًا للناطقين بها فحسب وإنّما كذلك تكليف لهم بتيسير

---

[8]. صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغية (الجزائر: دار هومة، 1999)، ص 167.

[9]. عبد العزيز المقالح (2003) تداعيات "في جريدة القدس"، العدد 4357، بتاريخ 2003/05/25.

[10]. كمال بشر (1995) "التعريب بين التفكير والتعبير" في مجلة التعريب بدمشق، السنة الخامسة، العدد السابع، ص 31-47.

نشر هذه اللّغة بين المسلمين وتبليغ رسالة الإسلام الإنسانية إلى بقية الشعوب. وهذا يتطلب العمل على إجراء البحوث العلمية في طرائق تعليم العربيّة للناطقين باللّغات الأخرى، وإعداد المعلمين المختصين، وتحضير المواد التعليمية اللازمة من مناهج وكتب دراسية ووسائل سمعية بصرية بما في ذلك برامج التعليم عن بعد وخاصة برامج التعلّم الإلكتروني، وفتح المراكز التعليمية المختصة داخل الأقطار المغاربية وخارجها. ويتصل بهذا الميدان تعليم العربية لأبناء المغاربيين المهاجرين في أوربا وكندا وأمريكا.

9. تصنيف المعاجم والموسوعات والمعاجم الموسوعية: المعجمية العربية من أقدم المعجميات وأثراها في العالم، فقد بدأ تصنيف المعاجم في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، ويمتلك التراث العربي ما ينيف على ألف ونصف ألف معجم من مختلف الأنواع وفي متنوع الموضوعات، كما يدلنا على ذلك فهرست أعده الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال[11]. والمعجم الجيد، سواء أكان منشورًا نشرًا ورقيًا أو إلكترونيا، ليس مجرد أداة ضرورية لتعلم اللّغة وتعليمها فحسب، وإنما هو مرآة للحضارة التي أرزته وسجل لحفظ ثقافتها كذلك. ولكن إعداد المعاجم والموسوعات والمعاجم الموسوعية التي تستجيب لمختلف الاحتياجات وتلائم أصناف الدارسين والباحثين، مروك في البلاد العربيّة –في الأعم الغالب-إلى الجهود الفردية ودور النشر التجارية، في حين ينبغي أن يخضع لسياسة لغوية رصينة تعتمدها الدول وتعمل على تنفيذها.

10-إجراءات البحوث النظرية والتطبيقية في علوم اللغة العربية:

يعدّ بعضهم البحث العلمي أساس التنمية الاقتصادية الاجتماعية فكلما ازداد الاتفاق عليه، تحسنت فرص التنمية. ولكن ما تنفقه البلاد العربية على البحث العلمي ضئيل جدا لا يتجاوز 0.5 من الناتج القومي الإجمالي بالمقارنة مع 6 الذي تخصصه له الدول المتقدمة. وتأتي الأقطار العربية في آخر قائمة الدول من حيث الانفاق على البحث العلمي، حتى بعد مجموعة الدول الافريقية ما وراء الصحراء.

لا توجد مراكز متخصصة في بحوث اللغة العربية، على ما نعلم ولا بد من تمكين أقسام اللغة العربية في الجامعات من إجراء البحوث العلمية

---

[11]. أحمد الشرقاوي إقبال (1987)، معجم المعاجم، تونس: دار الغرب الإسلامي.

على القضايا التي طرحناها: محو الأمية، العربية وتكنولوجيا الاتصال، المصطلحات العلمية الموحدة، إلخ.

ومن البحوث الجيدة التي تعاونت فيها الأقطار المغاربية مشروع "الحصيلة اللغوية" الذي أنجزه ثلاثة لغويين من تونس والجزائر والمغرب ونشرته المنظمة العربية للتربية والعلوم الثقافية، ولكنه كان بيضة الديك، ولم نر غيره. ومن البحوث الجيدة التي تجري في المغرب العربي حاليا "مشروع الذخيرة اللغوية" الذي يشرف عليه الأستاذ الحاج صالح رئيس مجمع اللغة العربية الجزائري، وكذلك البحوث اللسانية المعجمية التي يجريها معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط الذي يديره الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، والأبحاث التأثيلية التأصيلية التي يجريها الدكتور علي رئيس مجمع اللغة العربية الليبي. ولكن هذه البحوث القيمة محدودة في نطاقها وتعتمد بشكل عام على المجهودات الفردية، في حين أن الحاجة تستدعي توسيع نطاق البحوث اللغوية وإشراك عدد كبير من اللغويين العرب فيها.

الخلاصة:

تخلص إلى القول إن الوحدة المغاربية تشكل خطوة في الاتجاه الصحيح لوحدة الأمة العربية، وإن وحدتنا ضرورة في زمن يتسم بالتكتلات الاقتصادية والسياسية الدولية، وإن اللغة المشتركة تؤدي دور حيويا في ترسيخ الوحدة الوطنية، والتماسك الاجتماعي، والتنمية الاقتصادية، وتساوي الفرص أمام المواطنين. ولكي تضطلع اللغة العربية بهذا الدور ينبغي العمل على تأهيلها من خلال تعميم استعمالها في الإدارة والتجارة والتعليم في مختلف مراحله، وتفعيل استخدامها في تكنولوجيا الاتصال وشبكة المعلومات الدولية، وإجراء البحوث العلمية في علومها ومعاجمها وطرائق تدريسها للناطقين بها لغيرهم، وإنشاء مؤسسات قومية للترجمة منها وإليها لمواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية العالمية والإسهام برافد متميز في مجرى الحضارة الإنسانية.

الملحق رقم 1

أنواع اللغات ومستوياتها

اللغة: أداة تواصل شفوي وتحريري يستخدمها أفراد جماعة لغوية معينة.

اللغة الفصيحة: شكل مكتوب أو منطوق في أشكال اللغة يعد الشكل الصحيح الذي يفرض استعماله في التعليم والإدارة لتحقيق غايات ثقافية واجتماعية وسياسية محددة.

اللغة الفصحى (الأدبية): شكل مكتوب من أشكال اللغة يستجيب للمتطلبات الجمالية للتعبير عن الأفكار والمشاعر.

اللغة الوسيطية: لغة تقوم بدور أداة التواصل بين أفراد ينتمون إلى جماعات لغوية مختلفة.

اللغة الأم: أول لغة يتعلمها الطفل في أسرته.

لغة إقليمية (جهوية): لغة تتحدث بها أقلية من السكان في قطر تستعمل فيه أكثر من لغة.

لغة وطنية: لغة ينتشر استعمالها في مجموع البلاد أو في جزء من أراضيه.

اللغة الرسمية: لغة تعدها قوانين البلاد لغة الإدارة في جميع أنحاء أو في جزء منها.

اللغة غير الرسمية: لغة مستعملة ولكن لا يعترف بها لغة رسمية.

اللغة الرئيسية: اللغة ذات الاستعمال الأوسع بين أفراد جماعة من الجماعات لها لغات متعددة.

لغة محلية: لغة، او شكل من أشكال اللغة، ينتمي أساسا وبصورة مخصوصة لمنطقة معينة.

اللغة الأولية: أول لغة يتعلمها الطفل ويشار إليها أحيانا بلغة الأم، وقد لا تكون بالضرورة اللغة التي يتحدث بها والد الطفل أو جماعته العرقية.

اللغة الأولى: اللغة التي يتقنها الفرد بصورة جيدة بعد اللغة الأولى، وتقوم بدور في التواصل في البلاد.

اللغة الثانية: اللغة التي يتعلمها الفرد بصورة جيدة بعد اللغة الأولى، وتقوم بدور في التواصل في البلاد.

اللغة الأجنبية: هي ليست من اللغات الوطنية، وعادة ما تعلم في المدارس (10).

العربية الوسطى والتحديات الراهنة

ا. محمد بن تتا، جامعة النواكشوط.
(موريتانيا)

خلاصة

تحاول هذه الكلمة وضع "العربية الوسطى" أو "العربية الحديثة" في سياقها داخل الفضاءات الثقافية الغيرية التي صدرت عنها بهذه التسمية، وداخل الثقافة العربية المعاصرة.

كما تحاول استبابة "المواقع" التي تحتلها هذه العربية الوسطى في حقول مختلفة من ثقافتنا العربية اليوم، مثل التربية والترجمة والاتصال، قبل أن تسوق

بشأنها جملة من الملاحظات. وتقوم هذه العجالة على دعوى مؤدّها أن ما يسمى عربية وسطى يتأسس على تعارض إيديولوجي "مفتعل بين الفصحى واللهجات العامية لا أساس له في الواقع، فضلا عن أنه لا مساغ للحديث عن عربية وسطى بل عن كثير من اللغات العربية الوسطى، وفي ذلك ما فيه من مساس المتحقق، فعلا، من الوحدة الشاملة، أعنى وحدة اللغة والثقافة.

العربية الوسطى والتحديات الراهنة

موضوع هده الكلمة هو "العربية الوسطى" كما يسميها تأسيا باللفظ الأجنبي L'arabe moderne أو العربية الحديثةl'arabe moderne أو العربية المعاصرة. وهي – كما لا يخفى – تسميات غيرية صدرت عن فضاءات ثقافية أخرى. وهي – كما تقدم في الفضاءات "غير العربية الفصحى التي تدرس بالجامعة لأغراض البحث الأدبي أو الفيلولوجي أو الأثري فهي متمحضة عمليا للتعبير المكتوب ومستخدمة لمعالجة موضوعات تتعلق على وجه الخصوص بالأدب (القديم) أو الدين (الإسلامي) أو القانون (القرآني)[1] وهذه اللّغة هي أيضا "غير العربية اللهجة التي تدرس في معاهد اللّغات المهتمة بتكوين مرشدين اجتماعيين ذوي صلة بالهاجرين (...) فهذا المستوى من اللّغة مرتبط بالتعبير الشفوي (...) وبكل ما يمس الحاجات اليومية"[1]، فالعربية الحديثة تقع بشكل أو بآخر بين الفصحى واللهجة، فهي لغة وسط"[2].

هكذا ينظر إلى العربية الوسطى في تلك الثقافات من حيث هي أداة التواصل مع أخر. فكيف تبدو من المنظور الذاتي، أي من المنظور العربي؟

يقول مفكر مغاربي كبير: لو قررنا عدم النطق إلا بالألفاظ العربية التي تعترف بها قواميسنا لكان علينا أن نمسك معظم الوقت عن الكلام في منازلنا وشوارعنا ومدارسنا (...) ذلك أن المثقف العربي الذي يتكلم بالضرورة، لغة عامية هي "أغنى" بكثير من العربية الفصحى في مجال الأشياء الحضارية (...) لا يستطيع التعامل بها فكريا. إن العامية رغم غناها "التكنولوجي" الحضاري لا تتوفر على الأدوات والأليات الضرورية للتفكير فهي ليست لغة ثقافة وفكر، ومن هنا فقرها المدقع رغم

---

[1] gabriel Reville et Ali Abou Nimeh, l'arabe pratique ed. Omnivox. Paris 1995. P.6

[1] .Ibid.

[2] Ibid.

غناها الظاهري. والنتيجة هي أن مثقف العربي سواء كان طالبا أو أستاذا يعيش عالمين كلاهما قاصر"[3].

هكذا تحدث محمد عابد الجابري، عرضا منذ عقدين من الزمن عن مشكل تعود جذوره إلى ما يقارب قرنا من الزمن، هو مشكل الفصحى والعامية، الذي قاد- من جملة ما قاد إليه-بعض المفكرين والمبدعين إلى "اختيار لغة ثالثة (العربية الوسطى) التي لا يدافع عنها توفيق الحكيم وحده، فهناك في لبنان أنيس فريحة وفي تونس حسن زمرلي"[1] إذ يرونها اللّغة المثلى للأدب المسرحي كما يقول مثقف مغاربي آخر هو محمد عزيزة في دراسته " الإسلام والمسرح" غير أن هذه اللّغة الوسطى لم تقتصر على مجال المسرح الذي تحدث عنه محمد عزيزة، حيث دافع عنها من دافع عنها. وإنما اكتسحت – دون أن يدافعها أو يدافع عنها أحد- مختلف مجالات الحياة الثقافية، وحسبنا منها، هنا، أمثلة ثلاثة:

التربية، والترجمة، والاتصال.

ولنبدأ بالتربية:

إذا "كانت المقررات المدرسة تؤمن الاستمرارية اللّغوية للجماعة وتوجه صيرورة اللّغة، محافظة في الوقت ذاته على صلات هذه اللّغة بماضيها"[2] فإن هذه المقررات منذ نهاية المرحلة الابتدائية "تخصص مكانا للتقاليد الثقافية القديمة، ففي هذا المستوى يبدأ إدخال النثر والشعر القديمين في البرامج إلى جانب مختارات أكثر عددا، بطبيعة الحال، من الأدب الحديث، إضافة إلى نماذج مأخوذة من أشعار ما قبل الإسلام ذات اللّغات القديمة"[1] إذا كانت هذه وضعية المقررات المدرسية في البلدان العربية فإن عملية التدريس -خلافا لذلك- تتم في كثير من هذه البلدان العربية بالعامية: عامية البلد أو عامية المجرس "المستورد". ويعتبر استخدام الفصحى في هذه الحالة أمرا غير مألوف وغير مقبول من العربي، بالذات، الذي يراد منه استخدام

---

[3]. محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي: مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة 1987. ص 79-80.

[1]. محمد عزيزة، الإسلام والمسرح، ترجمة د. رقيق الصبان، منشورات عيون. دار قرطبة. الدار البيضاء. ص37.

[2] . Daniel Reig, Larousse Assabil, Librairie Larousse, Paris 1983. P.6

[1] . Ibid.

العامية السائدة أو عامية البلد المضيف، غير أن المعتاد في بلدان المغرب العربي أن يكون لتدريس –غالبا- بغير العامية، أي باللّغة الوسطى.

وجلي أن اتخاذ هذه اللّغة لغة للتربية والتعليم يقود كثيرا من غير المختصين في اللغة العربية أو التراث العربي إلى قراءة هذا التراث ونصوصه المعصومة من "منظور" هذه اللّغة الجديدة بعيدا عن المجال التداولي الأصلي لهذه النصوص.

الترجمة:

في مشرق العالم العربي كان يشرف على الترجمة، في كثير من الأحيان، جهاز من الأجهزة الرسمية في الدولة أو في جامعة الدول العربية ويمارسها في كثير من الأحيان مترجمون مختصون. أما في المغرب العربي فثمة انفتاح مباشر على الثقافة الأوربية، وعلى الفرنسية على وجه الخصوص. والترجمة –في كثير من الأحيان- جهد فردي محدود بقدرات الفرد محكوم بإرغامات المهنة والحياة اليومية.

والنتيجة: ندرة الترجمات في المغرب العربي كما. ولنتيجة أيضا أنها أنجزت، في كثير من الأحيان –بعربية وسطى: تتوسط بين الفصحى والعامية، بإفسادها اشتقاق اللّغة وتعديتها الأفعال بأحرف لا تلائمها ونحو ذلك. كما تتوسط بين العربية واللّغة المنقول عنها باستخدامها تراكيب اللغة الأجنبية. ويحضرني هنا حث أحد أساتذتنا الأجلاء لطلابه على العودة إلى النصوص في لغاتها الأصلية أو "في الترجمات الغربية التي أنجزها مترجمون مختصون" كما يقول، في تحذير ضمني من بعض الترجمات المغاربية التي لم نكن في غنى عنها.

الاتصال:

يلاحظ عبد الرحمن منيف أنه في الكتابة الصحفية المغربية يخيم مناخا الترجمة واللغة التراثية، أما الكتابة الصحفية المشرقية فيطبعها في رأيه الترهل والإنشاء والثرثرة إضافة إلى الإيديولجيا بحيث تضيع المعلومة أو تختفي[1] والحل –من وجهة نظر منيف- هو توخي الدقة في التعامل مع المعلومة واللّغة المشرقة غير التراثية ولا المترجمة[2].

---

[1]. عبد الرحمن منيف، عروة الزمان الباهي، دار بيسان، بيروت والمركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، 1996 ص108.

[2]. نفسه ص 109.

هذا فيما يخص الصحافة المكتوبة، وما يهمنا هنا هو توسط اللّغة الصحفية في المغرب العربي بين التراثي والمترجم.

أما فيما يخص وسائل الإعلام السمعية البصرية فالمسألة تختلف قليلا. فثمة البرامج التي تبث في كل بلد بعاميته، وهناك البرامج الرسمية وبعض البرامج الثقافية التي تبث بالفصحى مثل نشرات الأنباء ونحوها. هذه البرامج إذا كان "يخيم عليها مناخ الترجمة" في المغرب العربي فإنها في بعض بلدان المشرق العربي تستخدم عربية خاصة من نحو: "في لقاؤهما المرتقب" و"بزاء ذلك" ونحو ذلك بصورة يصبح معها اللحن قاعدة لا استثناء.

صحيح أن إعراب الكلام في مخاطبة عموم الناس كان منذ أمد أمرا غير مألوف فنحن نجد الخطيب البغدادي في معرض حديثة عن غلام الخليل المتوفي 275 ه. وهو من كبار متصوفة وقصاصها المتحدثين إلى العامة[1] يقول عنه إنه "كان يعرب الكلام ويحفظ علما عظيما"[2] وفي هذا دليل على أن إعراب الكلام الموجه إلى العامة لم يكن معهودا.

وقد استمر الأمر على هذا النحو إلى عصرنا الحاضر. ولكن ظهور الوسائل السمعية البصرية لاحقة على الصحافة المكتوبة التي عودت جمهورها استخدام الفصحى في هذه الوسائل أمرا ليس منه بدُ، لنجمل ملاحظاتنا حول العربيةالوسطى فيما يلي:

أولا – أن وسطيتها هذه بالغة النسبية إذ تمتد من تخوم العاميات إلى "الفصحى الملحونة" إن جاز التعبير مشكل بذلك "لغات عربية وسطى" لا "لغة عربية وسطى" فهي تشكل من هذه الزاوية، مساسا بالمظهر المتحقق من الوحدة العربيّة.

ثانيا-أن قدرتها على تأمين صلات اللّغة بماضيها، من خلال المجالات التي ألمحنا إليها، تبدو غير أكيدة. وربما كان الكثير من زعازع التي عصفت بالمجتمعات العربية في عهودها الأخيرة عائدة إلى هذا المنحى.

ثالثا-إذا كانت هذه العربية "أفقر" من العامية في مجال الأشياء <الحضارية- إذا استخدمنا عبارة الجابري – فهي أفقر من الفصحى في مجال التعامل الفكري

---

[1]. أنظر: أبو الفرج بن الجوزي، كتاب القصاص والمذكرين، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت 1983 ص 296 و297.

[2]. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، دون تاريخ الجزء الخامس ص 80.

وآليات التفكير، ومن ثم فهي لا ترضى المستمسكين بالفصحى كما لا ترضى الدعاة إلى العامية. فهي في نظر هؤلاء قاصرة عن شأو الفصحى وفي نظر أولئك مفتقرة إلى "العمق المحلي" الذي يسم العامية "اللصيقة" بمشاعر متكلميها، والإشكال المطروح هنا الآن هو:

إذا كانت العربية الوسطى لا تؤمن صلات اللغة بماضيها وبإرثها، وإذا كانت لا ترضى المستمسكين ولا الدعاة إلى العامية، فما هو الإسهام المرجو منها في تحقيق التواصل وتدعيم الوحدة الثقافية القائمة الأشكال الوحدوية الأخرى في المغرب أو في المشرق؟

وإلى أي حد يحول عليها في الصمود أمام الثقافات الأوربية وأمام المنتوج الثقافي الأمريكي الرافض لمطالبة الأوربيين بما يسمونه الاستثناء الثقافي في ظل الثورة الإعلامية الراهنة.

صحيح أن وضع العالم العربي مختلف عن أوربا ثقافيا، أوربا الت يتكون من قرابة أربعين هوية ثقافية مختلفة بعكس العالم العربي أي يشكل هوية ثقافية واحدة، أي سوقا ثقافية بلغة العصر.

غير أن ما يجعل العالم العربي هوية ثقافية واحدة هو العربية الفصحى فهي وعاء الإرث المشترك وجماع التطلعات المنشودة، أما اللغة الوسطى فإن ما يبرر وسطيتها هو التعارض بين هذه الفصحى وبين العاميات.

وفي ظني أن هذا التعارض بين العامية والفصحى ليس يخلو من افتعال فهو تعارض ايديولوجي أكثر مما هو لغوي، وهذه الصبغة الايديولوجية هي التي قادت إلى الحل الوسط أي إلى العربية الوسطى. وإلا فلا تعارض أصلا بين الفصحى واللهجات لا في الماضي ولا في الحاضر.

يقول ابن قتيبة الدينوري ت 276 ه ف عيون الأخبار:

"وكذلك اللحن إن مر بك في حديث من النوادر فلا يذهبن عليك أنا تعمدناه وأردنا منك أن تتعمده لأن الإعراب ربما سلب الحديث حسنة وشاطر النادرة حلاوتها...

ذلك أنه لم يكن لدى بان قتيبة أو الجاحظ أو التوحيدي حرج في إيراد العبارة العامية أو التسمية العامية أو الأجنبية لهذا الشيء أو ذاك.

وإذا نحن تركنا القديم إلى المعاصر وجدنا أن العاميات العربية التي يتبجح أنصارها بقدرتها الخارقة على التعبير عن المشاعر والأحاسيس...الخ المعزوفة لا يستعصي تفصيحها على من كان له إلمام بالعربية لأن مرد كثر منها إلى الفصحى فهي محفوظة في كتب الأدب وفي معاجم اللغة وإن لم تكن كثيرة التداول.

وما دمنا بالجزائر، فإنني سوف أجتزى بمثال واحد من العامية الجزائرية من شعر الأخضر بن خلوف (وسوف أتوقف قليلا عند اسم الشاعر)

من صاب لي هجهوج احمر يسوي من الأبر نرميه

فالفعل (صاب) (يَصيبُ) – كما في القاموس المحيط بمعنى أصاب يصيب، والهجهاج "النفور، والشديد الهدير من الجمال والطويل منها" أما (يسوي) يقول الفيروراياديي بعد أن ذكر (يساوي): "ويَسْوى ليرضى قليلة"

وما ينطبق على العامية الجزائرية ينطبق على ما سواها من اللهجات العامية من المغرب العربي وفي المشرق، ليس ثمة أي تعارض جوهري بينها وبين الفصحى.

فليست العامية، بهذا المعنى، سوى لون من الفصحى ذي نكهة محلية، لا يجد الملم بالفصحى إلماما معقولا عائقا دون تذوقه.

وربما يكون من أسباب ما يلاحظه بعض نقادنا المغاربيين من ضعف في الأدب النثري المغاربي (القصة، الرواية، المسرح) إذا قورن بمثيله في المشرق العربي غياب هذا اللون المحلي منه، فالروائي مثلا، في تقديمه لأقوال الشخصيات أن يقدمها بلفظها العامي الخالص وإما أن يكتبها بلغة فصيحة بحيث تبدو الحوارات أو الأقوال وكأنها منقولة عن لغة أخرى مسطحة محايدة، ولو أن الكاتب عني بالفصحى والعامية المحلية العناية الكافية لوفر على نفسه الكثير من الجهد ولإستطاع نقل تلك الحوارات أو الأقوال بكثير من ألفاظها إلى الفصحى بكامل مضمونها الاجتماعي وحمولتها الإيديولوجية.

غير أن الأمور تجرى في الواقع على نحو مختلف، فقد نشأت هذه الفنون في مشرقنا العربي بعد المثاقفة مع الغرب مقطوعة الصلة بالتراث العربي جملة ولا تزال هذه القطيعة قائمة. وأما في مغربنا العربي فقد نشأت هذه الفنون، بعد المثاقفة مع المشرق، مقطوعة الصلة بالتراث العربي وبالتراث الشعبي المغاربي غالبا.

وخلاصة القول: أن اللغة العربية الفصحى غير مجدودة من إرثها القديم بمختلف أشكاله وغير معزولة عن تعددية حاضرها الصوتية، هي سبيلنا الوحيد، في مغرب العالم العربي أو مشرقه، إلى التجذر في عصرنا الراهن وإلى تجنب "سوء الفهم" بيننا وبين ماضينا من جهة وحاضرنا من جهة اخرى.

المائدة المستديرة حول الندوة

ترأس هذه المائدة السيد: سعيد مقدم أشار فيها إلى الشهادات الحية، وإلى بعض المعاينات للذين عاشوا

حلم تحقيق الوحدة المغاربية.

ولقد شكر في بداية الندوة الحضور، وطلب منهم التدخل لمناقشة محور المائدة المستديرة. كما نوه كثيرا بحضور أحد الفاعلين في هذا المجال، وهو السيد عبد الحميد مهري، الذي يعد من صنّاع الوحدة المغاربية لا سيما في مؤتمر طنجة الشهير، وقال: لقد احتفلنا بالذكرى الخامسة والأربعين بالمدرسة الوطنية للإدارة، وبمقر المجلس الشورى لاتحاد المغرب العربي، كما أشار إلى نخبة القلم الذين كتبوا في هذا المجال، وقال رئيس الجلسة أيضا: سيسعدنا أن نختتم مداخلاتنا وتعقيباتنا بمائدة جرت العادة أن نسميها مستديرة، لكن أراها أفقية (كوكتيل هندسي)، لنتناول محورا من المحاور الهام بعدما قمنا بعملية المسح، والتشريح، وقدمنا مقترحات في مختلف المجالات، وكنا نستمع أكثر وأكثر للأخوة الأساتذة والحاضرين معنا في هذه الجلسة الحميمة، لمحور نعتقد أنه أساسي جدا كتتويج لأعمالنا، وهو محو آفاق العمل المشترك وإمكانات تنسيق الجهود في المستوى المغاربي والهجرة.

ومعنى هذا أن ندرس الآفاق المرتقبة للوصول إلى تحقيق – على الأقل – نظرة متكاملة منسجمة في بناء وحدتنا المغاربية لا سيما في هذا المجال.

أيها الحضور – دون إطالة – أعطي الكلمة للأستاذ عبد الحميد مهري فليتفضل مشكورًا.

- **كلمة الأستاذ عبد الحميد مهري**

الواقع إنّ حضوري اليوم أعطاني فرصة سماعي بعض ما قيل في هذا الملتقى، وفاتني يوم كامل تمت فيه (دون شك) إسهامات هامة، لكن العنوان العام "اللّغة العربيّة كأداة للتواصل والتضامن بين أقطار المغرب العربي"، يهم أدوات أخرى، لكن هذه الأدوات كلها لا تكون ناجعة إلاّ إذا كان البناء يسمح بالاتصال، والبناء العام، واعتقادي أن هيكل الوحدة بين أقطار المغرب العربي مازال غير قادر على استيعاب حركة التاريخ في اتجاه الوحدة، بين أقطار المغرب العربي، مع الأسف الشديد طبعا، الجهد مبذول أحسن من لا شيء، الاتحاد المغاربي قائم الآن، لكن – حسب تقديري – أقيم على مقاس الأنظمة السياسية القائمة الآن، بينما المفروض أن يكون المفتاح لما بعد المستقبل، بحيث يسمح بتطوير الأنظمة في كل قطر في اتجاه الديمقراطية والوحدة، بحيث يكون طليعة، ولا يكون تابعا لأنظمة نشأت في ظروف معينة، لا يوجد موقف للنخب التي يجب أن تدفع به في اتجاه ديمقراطي بكل حرية، وبناء أنظمة جذورها متينة في شعوبها في اتجاه خطوات ملموسة نحو الوحدة.

لا يجب أن يهضم الإنسان – خاصة جيلنا الذي عاش تلك الفترة - حلم وحدة الأقطار المغاربية، وهذا الجيل عاش فترات من الكفاح المشترك، والآن نشاهد حدودا مقفلة بين الأقطار المغربية، في الوقت الذي نرى اتصالاتنا بالعالم الخارجي مفتوحة، فمن الصعب الدخول في تحديد المسؤوليات، لكن هذا واقع يجب أن نرفضه، وليس من المعقول في القرن العشرين عصر العولمة ونحن نتغنى بالعولمة في كل لحظة أن نقبل واقعا مثل هذا ليس في صالح الشعب ولا الأنظمة.

أرجو أن تكون هنا جرأة البحث في المشاكل لإعطاء حلول وفرص الاتصال والتضامن، طبعا، في الميدان الثقافي واللغوي، وفي ميدان البناء والتصورات المشتركة ..إلخ.

فالبداية تكون من هنا، ولكن إذا لم تكن هذه البداية فالمطلوب من النخب أن تفتح الطريقة بكل ما يتوفر لديها من وسائل.

- **الدكتور عثمان سعدي**

نتناول الموضوع من الجوهر، والجوهر هو اللّغة، إذا ضاع أو تناثر أو تفتت، وكل شيء يعوض ما عدا اللّغة لا تعوض. اللّغة هي الكائن الوحيد الذي يكون قادرا على خلق نسيج اجتماعي منسجم في أي مجتمع، أمامنا أوربة ممزقة بين الإنجليزية والفرنسية هي تنزل الآن من الدولة الأمة إلى الدولة القيلة بسبب فقدان اللّغة، وإذا ما قارنا بين دولتين مسلمتين كبيرتين: إحداهما بإفريقيا هي نيجيريا، والثانية بآسيا هي أندونيسيا، فإننا نجد الفرق شاسعا بين وجود اللّغة وعدم وجودها، ففي أندونيسيا آلاف الجزر منتشرة في البحر، مساحتها مليونا كيلومتر مربع أو اكثر، وفي سنة 1928 فقط قرر الوطنيون أو الحركة الوطنية اعتماد اللغة البهسية لغة وطنية قوية في أندونيسيا، والأن مائتا مليون نسمة في كل الجزر يتكلمون البهسية ويكتبون لغة واحدة، ويصنّعون صناعات بلغة واحدة، بينما نجد نيجيريا تمزقها الحروب اللغوية والقبلية، بحيث في كل شهر نسمع أعدادا من الأموات ماتوا بسبب هذه الحروب، أما نحن فقد ورثنا في عهد الاستقلال لغة هي اللغة العربية، وعندما كنا نذهب إلى الريف قبل سنة 1962 كنا نلاحظ أن اللغة العربية كانت لغة تواصل، وكانت أوضح و أصفى منها الآن، وهذا واقع فيه تقهقر إذا استثنينا ليبيا، التي تعتبر قطرا تسود فيه اللغة العربية، بينما الأقطار المغربية الأخرى كلها مشتتة تماما، محكومة بوساطة اللوبي الفرنكوفوني، أقول: اللوبي الفرنكوفوني هو الحاكم.

أما وضع اللغة العربية الآن في الوطن العربي، فإن الغرب وأعداء العروبة والإسلام كيفوا السياسة مثلما يريدون، وكيفوا الاقتصاد مثلما يريدون، وهم بصدد تكييف الجغرافيا مثلما يريدون، بعدما اكتشفوا أن أقوى رابط بين العرب هو اللغة العربية، وإذا ما بقي هذا الرابط فإنهم مهما فعلوا في كل القطاعات فإن العرب يبقون عربا مرتبطين

باللغة العربية، فهم أعدوا خطة منذ عشرين سنة لتدمير هذا الرابط القوي الذي هو اللغة العربية بوساطة افتعال ضرات لغوية مثل الضرة البربرية، والضرة الكردية، إلى غير ذلك من الضرات، وبخلق لهجات وتطويرها عبر الفضائيات وعشرات الفضائيات العربية، فاللّغة الوحيدة المحترمة في الدنيا والتي لا تملك معجما هي اللّغة العربيّة، فالعربية ليس لها معجم، فمعجم الصحاح الذي يصدره مجمع اللغة العربية يجدد كل عشر سنوات بالإمكانات المتوفرة لمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، بينما معجم اللّغة العبرية التي لها أكثر من ثلاثين سن يجدد كل سنة في طبعته، ورئيس مجمع اللّغة العبرية في تل أبيب يعلن ويقول: إن اللغة العبرية نشأت في أحضان اللّغة العربيّة.

قبل سنوات روى لي الدكتور شاكر الفحام الأمين العام لمجمع اللّغة العربيّة في دمشق بالثمانينيات، أن جامعة أوكسفورد جمعت مدة قرن حصيلة لمعجم تاريخ للّغة العربيّة، وفي أواسط الثمانينيات اتصلت بالجامعات العربيّة وطلبت منها المشاركة ماليا في طبع هذا الجهد الذي أعد في مدة قرن من المستشرقين، هو معجم تاريخ مؤلف من ثلاثين جزءا لتاريخ اللّغة العربيّة وقامت بجولة في الجامعات العربية فاستجابت أخيرا خمس وثمانون جامعة، من ضمنها جامعة الكويت التي طلبت منها جامعة أوكسفورد المشاركة بأربعمائة ألف دولار فقط، فقبلت، ثم تراجعت.

وأخبرني الدكتور شاكر الفحام أن إسرائيل تبنت المشروع وأخبرني مؤخرا أنها وصلت إلى طبع الجزء الخامس من المعجم التاريخ للّغة العربيّة. أليس هذا عارا؟ بينما ميزانية المجلس الأعلى للّغة العربيّة في سنة قادرة على أن تصدر معجم اللّغة الحديث.

بهذه الكلمة أقول ليس لي ما أقوله أكثر مما قلته، فاللغة هي الأساس وأختم كلمتي بما قاله الشاعر السوري المغترب جورج عساف:

أفيك من لغة أحببتها وطننا فإنما لغتي في عربتي وطني.

- **الدكتور عثمان بدري:**

سأكون مختصرا، إذ قد يكون هناك من سيكون له الباع الطويل في هذا الموضوع. أنا أرى أنه يجب أن نحدد سقف الأولويات من منطق المعاينات الموضوعية والإجرائية التي تضيف إلى أداء اللّغة العربيّة وليس من موقع معايناتنا الشخصية التي نحتفظ بها لنا، نبكي ونتباكى على اللّغة العربية، ولكن، هل كنا في مستوى اللّغة العربيّة أصلا؟ يعني قبل أن نطرح إشكاليات اللغّة العربيّة في دائرة الآخر، يجب أن نطرحها وبكل موضوعية في دائرتنا نحن، هل خدمنا اللّغة العربيّة بالفعل؟ يبدو أن هناك جهودًا هنا وهناك، بعضها مؤسساتي وبعضها فردي، ولكنها لا ترقى إلى عبقرية اللغة العربية، فالمطلوب إذن هو أن نبحث عن الآليات العملية والإجرائية الت نتجاوز بها تأسينا، نضيف لها شيئا بالاحتكام أو باستشراف أهداف معينة ومحددة في ظل تحولات قاتلة، لسنا في مستواها، يعني لسنا في مستوى النطاح الموجود عالميا الآن، لكن يمكن ان نكون على الأقل أو نرتب موقعنا في إطار هذا النطاح، في إطار هذه التبعية على الأقل، أي نجدول تبعيتنا.

نواجه ونواجه، أظن أن هذا الخطاب كان ربما في ظروف ما، الخطاب الظرفي الذي أثمرته ظروف معينة، الآن علينا على الأقل أن نتأسى بما يفعله الآخرون، يعني إن الآخرين يتكاملون في محاور محددة وهادفة، يصلون إلى شيء ما بنسب متفاوتة في الأقصى والأدنى على الأقل، وهنا يمكن لنا أن نفتح مجال الملامة ومجال المحاكمة الذي هو مشروع، ولكن ربما لا ينتهي، فالعالم يتقدم واللغات تتصارع كما تتصارع المجتمعات، كما تتصارع الاقتصاديات، كما تتصارع الثقافات بالضبط تماما، هناك مساحات، هناك مساحات، وهناك لغات حديثة جدا كما أشار الدكتور عثمان سعدي اقتطعت مساحات كبيرة لها، وافتكت الاعتراف بها، ولكن بعرق أهلها وخدمة أهلها.

صحيح وراءها ما وراءها، ولكن علينا أن نخرج من خطاب المؤامرة فيما يتعلق بمعالجة مشاكلنا، نخرج من خطاب المصمر الظني، والوضوح والمقصد الإجرائي، وليس من منطلق مقصد ما يمكن ان يوجد بالفعل، وليس مقصد ما يوجد بالقوة، وإذ بقينا في مفهوم القوة

ربما نعقد عقودا كثيرة نردد أننا نخدم اللغة العربية، وبالفعل في الحقيقة نحن لا نخدمها.

وبعد ذلك أريد أن أتكلم من موقع تخصصي بين قوسين، ليس هو التخصص المجهري المغلق، ولكن التخصص المباشر فمن المؤسف أن نردد كثيرا أن اللغة العربية من بين المعالم المتصدرة، وهي السقف الذي يحتكم إليه وما إلى ذلك، نعم ربطناها بالإسلام، وهذا ربما من الأشياء التي لا يمكن أن ننازع فيها بدليل القرآن الكريم نفسه، ولكن اللغة العربية أيضا هي لغة إبداع، لغة أدب، لغة فكر، لغة فن، لغة جماليات في جميع مجالاتها، ولقد علمنا التاريخ أن تطور الحضارات في العمق وليس في المظهر وفي الشكل، وتكامل الكيانات الكبرى غالبا ما يصنعها الوعي، يعني يصنعها الوعي المشترك بين كيانات اجتماعية متعددة، ومن أبرز المعالم التي تصنع هذا الوعي هو الأدب والفن، الأدب والفن باللغة العربية، ولحسن الحظ هناك نوع من التناغم الموجود هنا وهناك بين اتحادات الكتاب، بين الجمعيات الثقافية، وتبقى الأمور دائما في إطار البضاعة المؤطرة، فالمنطق يقول: إن الإبداع الذي يصدر في المغرب آليا يجب أن يتعرف عليه المبدعون الذين يوجدون في الجزائر والعكس وفي ليبيا وكذا الصحف والأغاني والأفلام.

لكن عجيب نحن نعيش بمنطق الجزر المغلقة، وفي الآن نفسه نقول: إننا دول مغاربية واحدة، فقبل أن نرفع شعار الطموح الكبير علينا أن نمارس قنوات أو وسائط تعزيز هذا الشعار في الحد الأدنى، كأن تكون هناك آلية جديدة لتتبادل الكتاب، لتبادل الإبداع، لتبادل الفن، لتبادل الإعلام إلى غير ذلك، هذا ما اقول وربما أعود للموضوع مرة ثانية وشكرا.

- **الأستاذ سعيد مقدم:**

شكرا للدكتور عثمان، أنا ما فهمت من محور الندوة، - في رأيي الخاص – هو أن نستنير بآرائكم فيما يتعلق بالعمل المستقبلي من حيث الآفاق، ما هو المطلوب؟ أنا الآن أمثل مؤسسة اتحادية في المغرب العربي، مسؤول في مجلس الشورى للبرلمان المغاربي ماذا تطلبون منا؟ ماذا تنتظرون؟

أتكلم كمؤسسات، وانتم رجال علم باحثون في مختلف التخصصات، ما هو المطلوب منا كأقطار مغاربية؟ ما العمل؟ تكلمنا عن استراتيجيات، تكلمنا عن عدة أمور، فالآن ما هو مطلوب ليس المسح كما قلت أو التشريح، لأننا تكلمنا في اليومين، فالرجاء التركيز على ما هو مطلوب، ماذا يجب أن نقوم به كإجراءات عملية يمكن تحقيقها وإنجازها عمليا، وشكرا.

- **الأستاذ محمد العربي دماغ العتروس:**

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات على أيديكم إن شاء الله

شكرا للأخ الرئيس محمد العربي ولد خليفة على الجهود الت يبذلها بسخاء، إخواني لا بد أن شاء الله كمؤمنين ومسلمين، إن لم تثمر في الدنيا، فقي الآخرة إن شاء الله أجرك وأجرنا على الله.

فيما يخص هذا الشأن الذي تباحثتم فيه، وتكلمتم، لست أدري ماذا عساني أن أقول بعد ما قاله الأخ عبد الحميد، وما قاله عثمان سعدي، وأضرب مثلا بأندونيسيا التي عرفتها وعشت بين أهلها وقومها أكثر من سبع سنوات، وهم يحبون اللغة العربية مثلما كنا نحبها في عهد الاحتلال، وإنهم توصلوا بفضل نوعية الاستعمار الذي ابتلوا به، الاستعمار الهولندي، فهو ليس مثل الاستعمار اللاتيني والفرنساوي والإسباني، الذي لا يرى في المحتل إلا أن يكون إنسانا، إلا إذا تفرنس وتطلين وتأسبن، لست أدري مثلما قال أحد الأخوة الكرام الدين ألقوا كلمتهم بالأمس حضرت جزءا منها: إن حكايتنا وإن تطورنا وتقدمنا، وهذا الحلم الذي كان يبدو في الأفق هكذا ، ثم فجأة اختفى، كأنه عفريت من العفارين فقال: تقعد هنا في طي الغيب لا تخرج ناجيا.

فمزاج الحكام وأمزجة الحكام، نحن ماذا نريد؟ أن شخصيا كابن هذه البلاد، وهذا الوطن، وهذا الحلم الذي راودنا، وآمنت به ودعوت إليه مع الإخوان في كثير من المحافل، وضربت عليه في المجلس الجزائري، أنا أخرجت بالأسلحة، لأني حاولت أن أتكلم في عهد الفرنسيس بلغتنا العربية، فإذا بي في عهد الاستقلال وبعد أربعين سنة مما تعدون هناك من يمنعك أن ينظر إليك نظرا شزرا، لأنك تتكلم وتدافع

عن اللغة العربية، يعني عجائب وغرائب فنريد ونطالب مع جهودكم هذه ونلتمس أن نتضرع يا ناس عندنا قانون لتعميم اللغة العربية، صادقنا عليه، إن بعد سنوات وبعد ما أنتجته المدرسة الجزائرية وأصبح منهاجها، وبرامجها مثلا يقتدي في البلدان العربية من أجل تعليم اللغة العربية ونشرها، وأحد صناع هذه الإجراءات هو الأخ عبد الحميد مهري الذي هو موجود فيما بيننا، فطيب مثلما تطلبون مني ومن عبد الحميد، فأنا منذ 1927 من المقال المطالب بتوحيد المغرب العربي، وزحزحة الاحتلال الفرنسي من الرباط على الأقل إلى مطماطة، ما تجاوزنا توس، نحن وحدة واحدة، ويجمع بيننا كل شيء، يجمع بيننا التراب واللغة والدين وحتى المذهب، فنحن أصحاب المذهب المالكي منذ 12 قرنًا فذلك المقال الذي نشره الشيخ الزاهري في جريدة الوزير في 1927 مازال صالحا إلى الآن.

إن بعض الكلمات وبعض الأسباب وبعض الحجج أو بعض المبررات التي أدلى بها السيد الرئيس في خطابه من أجل الانتصار للغة العربية، الله العظيم هي مأخوذة منها، لو تراجعونها لما وجدتم بأننا لا نقول إلا معادا. فالمطلوب جسارة، مطلوب جرأة، مطلوب من حملة القضية باعتبارها قضية حضارية أن يقدموا على ما يجب الإقدام عليه من نصرتها وأن يكونوا Courgeux لأكون متحضرا Moderne كي يفرضوها ويجعلوها فعلا تحتل المكانة، الألماني مع الفرنساوي صارا موحدين، فكيف نحن لا نتوحد؟ !

نتبين الآن بأن هذه العروض لا تقيد، نحن الآن نشهد حربا وأنتم أصحاب المجلس الأعلى للغة العربية والاتحاد المغربي تشاهدون بأنا عندنا أغلبية الصحف اليومية وأعتقد 30 صحيفة باللغة الفرنسية، هل منكم من يجد فيها كلمة ترحم اللغة العربية، لا. لست أدري مازال تحقيق الوحدة حلما، وإني في آخر عمري أقول: إن الآمال معقودة على أمثالكم، وعلى هذه الأنشطة، فعسى أن يوما من الأيام تأتي أكلها، وتحقق ما آمنا، به ومات من أجله الكثير منا،

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

- **كلمة الدكتور عمار طالبي:**

الواقع أنّ هناك عقبات وعراقيل هي التي جعلت اللّغة العربيّة في هذه المنزلة التي هي عليها اليوم، أو لا نبدأ بما ختم به معالي الوزير معدم العربي وهذا هو الصراع في داخل المجتمع نفسه بين فئتين تعطل إحداهما الأخرى، العربية وغيرها وانضافت إليهما ثالثة أيضا (ضرتان كما قيل)، ثم إننا اليوم نسمع في الدراسات اللّغوية أنّ أربعة أو ستة آلاف من اللّغات في العالم ستنتهي، سيختفي الكثير منها على وجه الأرض، فهل هذا سيصل إلى اللغة العربية؟ ما نراه من المقدمات اليوم يجعلنا نخشى هذا الخطر، وثانيا ما يتعلق خاصة في الجزائر وهي الظاهرة اللغوية بحيث أصبحت اللغة الأجنبية وأعني بها الفرنسية لغة شعبية يتكلم بها الناس وحتى العجائز في الأسواق يتكلمن بالفرنسية، وهذه الظاهرة غريبة جدا تختلف عن تونس والمغرب وغيرهما، لا بد أن نعترف بها ولهذا تمكن هذا الجرح الذي لا يزال غائرا ولم يندمل بعد، وما زال أصحابه يحفرونه حفرا ثم عدم الاتفاق السياسي، إذ لا بد أن نندخل هذه العوامل لأن المسألة السياسية لها أثرها الفعال في هذه المسائل، والقرارات السياسية نراها معطلة.

نحن نقول: اللغة العربية متواصلة فهي متواصلة منذ عهد إمرئ القيس، فالتواصل موجود تاريخيا وواقعيا لم ينقطع إلى اليوم، القرار السياسي هو الذي انعدم إلى اليوم أو لا يزال يتأرجح، ثم بعد ذلك إذا أردنا أشياء يقترحها الاخوة فأقول: لماذا لا تشجعون الجمعيات المدنية التي تخدم اللغة وتخدم غيرها، كذلك الجانب الاقتصادي لماذا لا تلجؤون كما فعلت أوربا في هذه الناحية الاقتصادية؟ الآن كما سمعنا الامريكان يريدون أن يفسدوا ما يمكن أن يكون من وحدة اقتصادية في المغرب وكذلك في المشرق، وهذه دعوة إسرائيل أنها تعتمد على النواحي الاقتصادية، وهذا ما يفعله الأمريكان اليوم. أنتم تركتم هذا الفراغ ليأتي غيرنا ليملأه، فكيف ننتظر أناسا آخرين ليأتوا ويصلحوا لنا أعمالنا ويقوموا مقامنا؟ وإلى متى نظل نتكل على متعاونين؟ وإلى متى نبلغ الرشد ونبادر إلى سد الثغرات القائمة بيننا؟

أولا نبدأ بالجانب السياسي، في كل الأمم نزاعات سياسية ولكن لا بد من توازن في هذه النزاعات نتفهم فيها ونتوازن، وأن لا نترك المسألة بحيث يصارع أحدنا الأخر ونعطل المسائل، تمشي المسائل الاقتصادية رغم الاختلاف في المسائل السياسية، وإن كان أصحابنا لا

يقبلون هذا فيما يظهر، ننطلق في المسائل الاقتصادية، ونترك المسائل السياسية حتى نتفق فيما بعد، ولكننا نحن ندعو لأجل الحفاظ على هويتنا التاريخية ولأجل التواصل الذي تقولونه من أن نقضي على هذا النزاع الداخلي بين الفئات المثقفة نظرا للآفاق البعيدة، لا ننظر إلى الظروف الحالية، بل ننظر إلى التاريخ وإلى البعد التاريخي البعيد جدا لهذه الأجيال القادمة، فلا نخوض في مسائل مؤقتة ونجعلها هي القاعدة، فلا بد أن نراعي هذا من ناحية الصراع الثقافي، أن نتفاهم يا سيدي لماذا نبقى نتحارب؟ نتوازن، نتفاهم، كل واحد يحقق هدفه بطريقته ونتفاهم على هذا. كذلك النزاعات السياسية وكذلك المسائل الاقتصادية، ولماذا كما ذكر الإخوان الآن لا أنتقل إلى بلد مجاور إلى بطلب، وتأشيرة.

على كل حال أنا لا أريد أن أطيل عليكم، الاستراتيجية لا بد أن تكون مبنية على أبعاد تاريخية قوية وأبعاد في المستقبل ونشخص هذه الأدواء ونعالجها ونحدث التوازن بين هذه العوامل الصراعية والمعوقات ونزيل ما يمكن إزالته ونتوازن فيما يمكن أن نتوازن فيه لنقضي مصالحنا جميعا ولكن أن نغيّب مصالحنا أن نقضي عليها ونترك الفراغ فهذا ما لا يجوز أبدا، إنّ في الثقافة عامة وإن في اللّغة وإنّ في الاقتصاد وإنّ في أي مجال من المجالات التي تهمنا جميعا وشكرا.

- **كلمة الأستاذ عبد اللطيف عبيد:**

إنّ الاستاذ عبد الحميد مهري قال كلاما هاما، وهو أن البناء مازال غير قادر على استيعاب حركة التاريخ أي بصورة أوضح أنه لا وجود لاتحاد المغرب العربي حتى نفعله، وحتى لا نتقدم إليه بمقترحات تتعلق بآفاق العمل لعربي المشترك فعلى من سنقترح؟ هذا الاتحاد مغيب أو معطل أو متوقف، فلنجتهد من أجل أن نحركه أو نفعله.

ولكن إذا ولا بد أن نقول شيئا فيما يتعلق باللّغة العربيّة ومسؤولية المغرب العربي في ذلك، فلنقل إنّ اللّغة العربيّة لا خشية عليها من الانقراض لأنّها لن تنقرض، وهذا ليس بفضل العربي ولا بفضل المغربيين وإنما بفضل الله الذي جعلها لغة مقدسة، لكننا نسأل عن تقصيرنا في شأنها ((وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)) سنسأل عن تقصيرنا في خدمة اللغة العربية، لكن اللغة العربية فيما يبدو تبقى بعد القرن الواحد والعشرين من بين أربع لغات هي: الإنجليزي

والصينية والإسبانية. فيما يقول بعض الدارسين ستسلم من الانقراض لأسباب تاريخية، ولأنّها لغة الإسلام، ويتكلم بها أكثر من مليار مسلم، وما دام الإسلام خالدا فهي خالدة.

على كل حال أما العرب فلم يقوموا بشيء كبير بخصوص لغتهم إذن هناك علماء، هناك مجتهدون، هناك مناضلون، لكن بصفة عامة مثلا في العصر الحديث كل المشاريع المهمة اللغوية لم تنجح، وهو ما أشار إليه الأستاذ عثمان سعدي، لم ينجز المعجم التاريخ، لم نحسم في قضية التعريب، ولم نوحد المصطلحات، ولم نضع المعجم اللغوي العصري، ولمن نضع الأطلس اللغوي، ولم نحوسب اللغة العربية حوسبة تامة، وهناك أعمال يقوم بها الإسرائيليون الآن. نحن مقصرون كثيرا، فهل بإمكان المغرب العربي أن يحرك اتحاد المغرب العربي من أجل أن يتم تفعيل بقية الأمور، بقية المشروعات المشتركة، ومنها المشروعات اللغوية لكن بما أنه لا بد من أن نقترح فأنا لي ثلاثة مقترحات:

المقترح الأول: أتوجه به إلى مجلس الشورى المغربي نحن نطالب مجلس الشورى بأن يسن سياسة لغوية ذات أربعة عناصر كما وضحها عبد الحميد مهري هذا الصباح تقوم على احترام اللّغة العربية ورعايتها والاهتمام بها ودعمها. الاهتمام بتحصيل اللّغات الأجنبية. اعتبار المطلب الأمازيغي. رعاية التراث العامي وكل عنصر من هذه العناصر أجاد فيها القول عبد الحميد مهري ووضعه في إطاره، فالمجال لا يتسع للتدقيق وهذا يدّقق فيما بعد، وهذه هي السياسة اللّغوية التي ندعو فيها مجلس الشوري المغاربي إلى تبنيها وإلى تكوين لجان متخصصة من لسانيين ومخططين وتربويين وعلميين، وبطبيعة الحال هناك تجارب في العالم تسمى بالتهيئة اللّغوية L'aménagement linguistique وفيها فرعان: تهيئة اللّغة نفسها وتطويرها، وتهيئة الوضعية اللّغوية، أي وضع القوانين المساعدة من على ذلك.

الاقتراح الثاني: نتقدم به إلى المجلس الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر، وهو أن يدعو إلى إقامة أسبوع للّغة العربيّة في الدول المغاربية تنظم فيه المسابقات وتمنح الجوائز وتعلق اللافتات، ويدعى الإعلام للعناية بها وإلى توعية الناس بأهمية اللّغة العربيّة، وإلى العمل على تحبيب الناس وتحبيب الناشئة في اللّغة العربية، وإقامة منتديات وندوات بين شباب المغرب العربي، وهذا كله يدقق لاحقا، وأن نساهم نحن وغيرنا في وضع برنامج لهذا الأسبوع، وإذا لم ترغب الأقطار الأخرى في أن تطبق هذا الأسبوع فلتمض الجزائر، ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه.

المقترح الثالث: بما أن الأمر يتعلق بآفاق العمل المشترك وتكثيف الجهود في المستوى المغاربي والهجرة وبما أنه يهمنا أن يتعلم أبناء الشبان المغاربيين العربية والثقافة الإسلامية في الهجرة. أقترح على وزارة الخارجية في الدول المغربية-لأن الموضوع يهمها – خاصة وأن وزير الخارجية الجزائري كان معنا وكان متحمسا للقضية إنشاء مكتب مغربي مشترك يسهر على نشر اللّغة العربية في صفوف المغاربيين بأوربا، فيوحد الوسائل التعليمية وفي مقدمتها الكتاب، ويضع منهجا مشتركا، ويضع القاموس المشترك، ويقوم بالأنشطة المشتركة إلخ. وهذه مقترحات ما دمنا مدعوين لتقديم هذه المقترحات:

وإن تكن أحسن المنى وإلا عشنا بها زمنا رغدا

تدخل عمار طالبي فقال: اسمحوا لي قبل أن أنصرف أسلم عليكم وأقول: إن هناك ظاهرتين في هذا المجال.

أولا: فقدان الثقة في اللّغة العربيّة في المسؤولين السياسيين في التعليم، كأنا إذا علمنا العربية ضاع العلم ودخلنا في الجهل.

ثانيا: ظاهرة أخرى أخذت تسري أفاعيلها في الجزائر وهي المدارس الخاصة التي تعلم اللّغة الأجنبية فقط.

- **الأستاذ العربي دماغ العتروس:**

أنا عندي التماس نطالب من هذا المجمع الكريم من حكومتنا أن يراسلوا الوزراء والحكومات الأخرى باللغة العربية، كون لغتنا من لغات الأمم المتحدة كما يفعلون.

- **الأستاذ سعيد مقدم:**

أريد أن أوضح نقطة أعتبرها غير هامة جدا، فقضية اتحاد المغرب العربي تفعيله نعم وللتذكير فقط فيه الآن مغاربيون 89 منظمة غير حكومية تنشط ومسجلة على مستوى اتحاد المغرب العربي، ومنها جمعية الأستاذ عزم الدين ميهوبي اتحاد الكتاب، وجمعية الأستاذ محمد بلقاسم حسن بهلول رئيس جمعية الاقتصاديين، وكانت لها نشاطات، وأريد تأكيد نقطة أخرى، وهي في 17 فيفري 1989 تاريخ التوقيع على المعاهدة التأسيسية لاتحاد المغرب العربي صرّح جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني صراحة، والتصريح مسجّل بالحرف الواحد فقال: يجب أن نسير قدمًا وقضية الصحراء كانت قبل إنشاء المغرب العربي، قال: فلنعمل فيما يوحدنا، وترك الأمور الأخرى، ونترك الأمور الأخرى نتدارسها معًا، ونتداول بشأنها. وما وصلنا إليه اليوم طبعًا يختلف تمامًا عن الأهداف المسطرة في هذه الندوة. وللعلم أيضًا هناك فريق عمل

يشتغل منذ سنتين لإعادة النظر في معاهدة إنشاء الاتحاد وتنقيحها وتحيينها بما يتفق والمستجدات الجديدة، كما تفضل بعض الاخوة وطرحوا القرار بالإجماع

، وتحويل مجلس الشورى للمغرب العربي، إلى برلمان مغاربي.
ولكن أعتبر أن المبادرة في حد ذاتها والتي قام بها المجلس الأعلى للغة العربية مشكورا كقوة اقتراح، باعتباره عضوا من أعضاء المجتمع المغربي ككل، إضافة إلى حوالي 36 حزبا ممثلين في برلماناتنا تجتمع سنويا في أقطارنا وفي كل مرة أطرح هذه القضية: اللغة والعلوم والثقافة وقضية الهجرة.

- **الأستاذ عز الدين ميهوبي:**

شكرا للأستاذ مقدم. في الحقيقة إنّ الحديث عن هذه المسألة معقدة وشائكة وأسالت حبرًا كثيرًا. نحن جيل الاستقلال نؤمن بهذا الاتحاد ونعتقد أن الإخفاقات السابق التي حدثت بفعل كثير من المعوقات السياسية بالدرجة الأولى لن تحول دون العمل على تحقيق خطوات متقدمة في هذا الشأن، فنحن على صعيد الحقل الثقافي وجدنا أنّه لا يكفي النقد والإغراق في ثقافة المؤامرات، وأنّ هناك شيئا يطبخ من وراء هذه الشعوب، وحتى وإن كان هذا يحدث، رأينا من واجبنا كجيل عليه أن يتعالى عن هذه الصراعات، وكان تفكيرنا الجاد والصريح هو أن نسعى لتحقيق حلم آمن به كثير من المثقفين والأدباء والمفكرين في هذه البلاد وهو إنشاء تنظيم ثقافي هو اتحاد يجمع الاتحادات والروابط الأدبية والفكرية في بلدان المغرب العربي وهذه الفكرة التي بدأت في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، وفي كل مرة كانت تعقد لقاءات بين

مسؤولي هذه التنظيمات الثقافية إلا أنها سرعان ما تنتهي إلى فشل وإخفاق. ولنا في هذا المسار أو المسير ما يمكن قوله. ففي مسير هذا الاتحاد نسجل كرونولوجية تاريخ 1926 – 1963 ففي سنة 1963 كانت المحاولة الأولى لإنشاء اتحاد كتاب المغرب العربي فظهرت مسألة لماذا نقول: اتحاد المغرب العربي، وهي دعوت إبعاد صفة العروبة وهناك الفشل. وجاء المشروع الثاني في سنة 1969 في ليبيا وفشل. إلا أنّ الطموح كان قائما واستطعنا تأسيس الاتحاد في الجزائر في ديسمبر 2001 وكان حدثا تاريخيا بالنسبة لنا وقدمنا وثيقة القانون الاساسي ونحن الآت بصدد التشاور وتوزيع المهام ووضع الآليات على صعيد بلدان المغرب العربي، وهذا الاتحاد يتكفل بفعاليات محددة يهتم باللّغة العربيّة كأولوية لتتوحد في كل أنماطها رغم ما نشهد من اختلاف في لغات أخرى فالإنجليزية المتطورة الآن هي الإنجليزية الأمريكية وليس الإنجليزية الإنجليزية اللّغات تعيش وتتطور إن كانت هذه المجتمعات متطورة، نحن مجتمعات مستهلكة غير منتجة للتكنولوجيا وللمعرفة، وبالتالي فإن وضعنا يفرض على العربي أن تعيش حالة تراوح في المكان إن لم تعش حالة انكماش.

بالأمس لامني أستاذ لأني قلت : لا بد من تطوير اللّغة العربيّة، قال: لا، لابد من قرار تطوير. لا المسألة لا تتعلق بالقرار السياسي، فإن لم يكن القرار هل نبقى نتفرج، من دفع بالأستاذ العرباوي أن يكتب ثلاثة أو أربعة كتب في اللّغة ليس القرار السياسي، وإنما هناك قناعة شخصية في أنه يساهم في التحسيس ودعم وترقية هذه اللّغة. أعتقد أنّه يقع علينا عبأ كبير في كيفية الدفع باللّغة العربيّة والتحسيس لها في المجتمع المدني في ظل غياب الشرعية وغياب الديمقراطية في بلداننا، وأن يدفع الاتحاد

هذه الخطوة ويضعها على السكة، لكن تعرفون أن كل فكرة لا بد لها من مال وهو ضروري لتفعيل هذه المبادرة.

هناك استجابة سياسية محتشمة لكنها مشجعة، فإذا لم نجد المال في خزائن هذه البلدان فسنجده في جيوب المؤمنين بهذا الاتحاد والذين آمنوا ودافعوا بهذا الفكر النبيل، هذا من جانب، ومن جانب اللّغة العربيّة فهناك اختلافات في وضع اللّغة العربيّة في كل بلد، التعايش اللّغوي في الجزائر يختلف عن تونس، التسامح اللغوي في تونس يختلف عن الجزائر، وهناك مسألة اللّغة العربيّة في حد ذاتها فيجب أن نمارس النقد الذاتي لأنفسنا الآن في حالة تقهقر كبير لأن المجتمعات متقدما في المعرفة فإنّه يوسع في القاموس ومعجمه ويجعله أكبر. ذكرت أمس أن قاموسها يصل 123364111 لفظة، ما هو مستعمل 5600 كلمة فقط، أما الباقي فأحيل إلى متحف اللّغة ولا شك أن اتحاد المغرب العربي يدفع باللّغة في المستقبل إلى بر الأمان.

الدكتور رشاد الحمزاوي:

أعتقد أننا ننطلق في غالب الأحيان في دراساتنا التي ألقيناها الآن إلى دراسات جزئية تجعلها دراسات مستقبلية.

إن الخطر هو أن ننطلق من حالات جزئية كأنها حالات مكتملة قائمة على قواعد هامة نهائية نحن دائما ننطلق من بعض المواقف والآراء، ولذلك فالدراسات الميدانية المستكملة لم تقدم في هذه المؤتمرات، فنحكم أحيانا أحكاما قاطعة، عوض أن نحكم أحكاما نسبية، حتى يمكن لنا أن نتلافى الوقوع في هذه الأخطاء ونخرج من الغنائيات والبكائيات على الماضي، والتمهيديات والتشاؤم إلى غير ذلك، كفانا

هذا، دعنا نمر إلى القضايا وننظر بموضوعية أولا، وبعد ذلك إذا أردنا أن نسيسها فلنسيسها أو نعطيها ما نشاء.

أنا أعتقد أن العربية عموما بخير، وأن العربية المعاصرة لا بأس بها ولا بأس عليها، وكثير من الدلائل تدل على أنها في تقدم مستمر، يكفي أن تتنظر إلى الصحافة العربية التي تصدر في كل الأقطار العربية وما تنقله من أفكار وآراء وعلوم وأنباء فهذه معرفة عظيمة جدا لم يدرسها أحد.

أنا درست المفاهيم الحضارية من خلال الرائد الرسمي التونسي من عام 1860 إلى 1900 ومازالت عندنا آلاف الجرائد العربية كما أدخلت من مفاهيم حضارية مثلا الرائد الرسمي المغربي أو الجزائري أو المصري فيه آلاف الكلمات التي دخلت اللغة العربية وآثرت هذا المعجم بقوة. إن المجامع اللغوية العربية بداء من مجمع دمشق والقاهرة وبغداد والأردن بعده السوداني والليبي والجزائري وإن شاء الله التونسي قادم وبعده الأكاديمية المغربية، هذه المنشآت للغة العربية والدفاع عنها لهو شيء عظيم جدا تصدر مئات المصطلحات وآلاف المصطلحات والمجلات ولكن للأسف لا تستعمل ولا يستعملها كثير من الناس، ولا يعرفونها وسيعود هذا إلى أسباب كثيرة، لكن الشغل ماشي والناس تشتغل.

اللغة العربية هي اللغة الرسمية الثالثة في الأمم المتحدة، هناك ثلاث لغات عمل الفرنسية والانجليزية والاسبانية، ولغات أخرى ثلاث وهي لغات رسمية العربية والروسية والصينية وتترجم كل وثائق الأمم المتحدة إلى العربية وجوبا، وهذه أعمال تجري ونحن نتكلم بتشاؤم في

هذا الميدان. لا أتكلم على ما ينتجه الأدب من روايات ومسرحيات وفنون. الخ إن العالم العربي زاخر، والتعليم لعب دورا كبيرا جدا، ولما استمعت إلى الناس هنا فالذين يتكلمون العربية يتكلمونها فصيحة ممتازة من أين تعلموها؟ ومن أين أتت؟

أنت من التعليم الذي دخل هذه البلاد رغم 130 سنة من الاستعمار فهناك تحسن كبير جد جدا. اللغة العربية بخير وتتقدم وتعاني مثلما تعاني الفرنسية أمام الإنجليزية، الفرنسية تعاني معاناة كبيرة لأن الانجليزية تعطيها يوميا مصطلحات فنجد الفرنسيين يتشاءمون مثل العرب. وما يوجد في المغرب العربي من إشكالية التعريب والتطبيق في التعليم يوجد في المشرق العربي وفيه نفس المشاكل ونفس التذمرات ونفس الأحكام التي تسير كذلك في المغرب. العلوم لا تدرس في كل الجامعات المشرقية بالعربية باستثناء دمشق وحتى سوريا في السنوات الأولى، أما السنوات الأخرى تدخل الإنجليزية ويصبح التعليم بالإنجليزية. لا بد أن نأخذ الأمور بنوع من النسبية، نأخذ بالمعوقات ونأخذ بكل الظروف التاريخية التي على ضوئها يمكن لنا أن نحكم حكما حقيقيا موضوعيا على التقدم. ليست لنا دراسات موضعية شاملة تمكننا أن نطلق هذه الأحكام سواء في المغرب أو في المشرق. فالعربية يبكي عليها في المشرق كما يبكي عليها في المغرب وهذا ما عشته في جامعة الإمارات وجامعة السلطان قابوس. وأحقق لكم أن الانسانيات فقط تدرس بالعربية والباقي كله بالإنجليزي، أحببنا أم كرهنا، وفي كل الجامعات العربية هناك بعض الاستثناءات، لا يجب للخطاب اللغوي الذي نحن معنون بن أن ينقلب إلى خطاب خصامي هذا خطر جدا، لأننا سنكون سلبيين مع الأسف الشديد، فلا بد لنا أن ننظر لهذه القضية نظرة إيجابية.

اللغة ليست في حد ذاتها هي المهم، المهم هو محتواها، أين العلم العربي؟ أين المخترع العربي؟ أين المصطلحات التي يأتي بها المخترعون؟ من هم العرب الذين قدموا لنا هذه المصطلحات؟ وأين علماء العرب في الذرة وكذا وكذا؟ وأين هي الأموال المرصودة لهم؟ حتى وإن كان لهم أن يعطوا كلمات عربية ويقوموا باختراعات.

هناك كثير من العلماء في كاب كرافيلل، وكذا وكذا ويحصرون في بلادهم ولا يجدون المخصصات التي تجعلهم يقومون بهذه الأمور في هذا الميدان. المهم أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الأمور وأضيف شيئا آخر وهو توظيف التراث العربي الذي نتكلم عنه كثيرا وأغلبنا لا يعرفه، لا يعرف مثلا ماذا نوظف من ابن سيده في المخصص، ماذا نوظف من لسان العرب، ماذا نوظف من ابن رشد، لا تنسو أن ابن سينا كان يدرس إلى سنة 1915 في كليات الطب في بروكسل. يعني شيئا محزنا، مازال الفلك قائما على المصطلحات العربية في العالم اليوم، فهذا التراث لا بد أن نعتني به إذا أردنا أن نتقدم، فهذا التراث متقدم وفيه ما يمكن أن يحيّن، ويمكن له أن يعطي الثمار الجيدة في هذا الميدان.

إذا أردنا من المغرب العربي أن يتآزر عليه متابعة تحيين المشاريع المشتركة، الرصيد اللغوي الذي قمنا به لا بد أن يتواصل، ونقوم بمراجعة ما قمنا به في هذا الميدان وهذا مهم جدا. كذلك تشجيع البحث العلمي وتخصيص نسب مئوية كبيرة اليابان يضع 11% من مدخوله القومي للبحث اللغوي وكله باليابانية، لأن الناس لها الأموال وتقوم بهذا العمل. أمريكا لها نسب أكثر من ذلك والعلم هو الذي يأتي بالقوة، وهو الذي يقوي اللغة، إذا عند العرب علم يعني ضرورة لا بد

من تعلم العربية. إن البلاد العربية كلها لا تخصص إلا 1 % للبحث العلمي والمليارات العربية مخزنة في البنوك الخارجية، وموجود 740 مليار، ولما نطلب القيام بمشروع فلا يعطوننا إلا القليل.

عملها مشروعا في جينيف شاركت فيه 21 وزارة عربية وكنت مشرفا عليه وغرضه إنجاز معجم الفضاء والاتصالات فيه 300 ألف مصطلح عربي فرنسي انجليزي إسباني. من عام 1980 ونحن نشتغل في هذا العمل وهو قائم. كذلك الأمر بالنسبة إلى الحديث عن نشر الأعمال الجامعية، فجامعاتنا الآن تخرج أطروحات ممتازة جدا سواء في مستوى الآداب أو العلوم فتحتاج إلى نشر، ولا يهم إن نشرت بالفرنسية فصاحبها عربي وأتى بأفكار جديدة فيمكن أن تترجم. كذلك يجب أن نهتم بلغة الإعلام التي تعمل على الترقية اللغوية، فإن الصحافي الجيد قادر على توصيل الأفكار. كما أتحدث على التأليف باللغة العربية فلو نراجع كليه الآداب في الجزائر سنرى مئات الأطروحات وكذا في تونس فلا بد أن نتعرف عليها قبل أن نحكم.

تحدث أخ عن المعجم التاريخي فقال ليس لدينا معجم، أنا آسف إن مجمع اللغة العربية أخرج المعجم الوسيط وهو معجم ممتاز جدا، حيث أدخل الكثير من المصطلحات والأمور، كما أخرج المعجم الوجيز للأطفال، ثم هناك المئات من المعاجم المدرسية وهي مهمة جدا. لقد ترجمنا الكثير وما ترجم يحتاج إلى تنقيح وإلى نشر، فالسيدة لحبابي ترجمت 15 كتابا لم يجد من ينشرها وحدثني عنها اليوم لكن للترجمة عائق الناشر والممول.

وبالنسبة للمعجم التاريخي التي ابتدأه أو جيست فيشر وقدمه لمجمع اللغة العربية ونشر منه جزءا صغيرا ولكنه عجز على طبعه لأن ليس له المال. إن المعجم العربي التاريخي في تونس جرد الآن كل الشعر الجاهلي ولدينا 60 ألف جذاذة وأخيرا تكونت في اتحاد المجامع اللغوية لجنة المعجم العربي التاريخي وأنا عضو فيها، فعلا إسرائيل أخرجت معجم الشعر الجاهلي على أساس أن هذه اللغة عظيمة لكن لا تحتاج إلى من يضع لنا المعجم التاريخي، وعندما كنت الإمارات بدأت في عقد ندوات حول المعجم التاريخي علما أنني بدأت هذا المشروع في تونس فكاتبت جميع رؤساء الدول العربية فلم تجبني إلا عمان التي أعطتني إعانة. ويجب أن نعتني بهذا المعجم في المؤسسات المغربية، فمثلا لو يأخذ المغرب القرن الإسلامي الثاني والثالث والجزائر تأخذ الذخيرة فهو مشروع عظيم، والبحث الذي قدمه الحاج صالح وفريقه يعني هذا أن الجزائر لها ما لها في هذا المجال.

ولا بد كذلك من العناية بالشريحة الثقافية لتواصل عملها في مختلف المجالات ولا يجب أن نحتقر مجال اللهجات وعلينا أن ننظر إلى كل هذه الأمور بعين الاعتبار وندخل كل المصطلحات الموظفة الآن.

أعتقد أن التعليم الآن ليس بالفرنسية، أنا صادقي كنا ندرس 17 ساعة بالعربية و17 بالفرنسية وهناك أساتذة جامعيون يدرسوننا بالفرنسية ويدافعون عن العربية فالأمر يتعلق بتقصير الأفراد والتشاؤم مدعاة للضعف. وشكرا لكم.

- **الأستاذ محمد عيسى موسى:**

أريد أن أعود بكم إلى سنة 1934 من أجل استجلاء الماضي والتساؤل عن الوضعية التي نحن فيها، وأنتهي بطرح سؤال يربط بين 1934 و2003. لماذا 1934؟ في هذه السنة وفي القاعة الخلدونية بتونس صدر ما يسمى بعقيدة التوحيد وقتها كان مفدي زكريا شابا، لا يمكن أن ينظر إليه بمنظار الآن، بل ينظر إليه على أنه شاب عمر 26 سنة موجود بتونس، وطني يعمل على توحيد شمال إفريقيا. لقد خرج في هذا المؤتمر (مؤتمر طلبة شما ل إفريقيا) بما سماه (عقيدة التوحيد) أي توحيد شمال إفريقيا وكان يسمى شمال إفريقيا بالوطن، يعني هناك وطن واحد وفيه عشرة بنود عن التوحيد وثلاث مطالب. الأفكار الثلاثة الأولى عن التوحيد مجردة: الوطن الواحد/ وحدانية شمال إفريقيا/ وحدة الوطن. وأفكار أربع فيها الوحدة مربوطة بأشياء أخرى: الوطن الواحد/ اللغة الواحدة/ مقومات وحدة الجنسية ووحدة الوطن واللغة/ شمال إفريقيا جزء من العالم العربي بحكم الإسلام واللغة والعدو هو من يعمل ضده وحده شمال إفريقيا هذه هي الأفكار التي دافع عنها زكريا ثم ينتقل إلى ثلاثة مطالب وهي:

1- تحرير الوطن
2- رفض الاندماج
3- التسامح والتعايش مع الأجناس الأخرى.

هذه هي عقيدة التوحيد التي تعود إلى سنة 1934 من شاب جزائري ولا أقول مفدي زكريا لأنه في ذلك الوقت غير معروف، كان مجهولا في ميدان الشعر. فهذه الأفكار التي بثت في تونس سنة 1934 إلى هذا اليوم ماذا قدمنا؟ أو ماذا عملنا في هذا السبيل؟

هذه سبعون سنة قليلة في حق توحيد ما يمكن أن يسمى بالمغرب العربي الذي كان قديما يسمى شمال إفريقيا، السبعون سنة مازالت هي البداية، وهذا ما يجب أن نطرحه الآن، لأنه من خلال اليومين (الأمس واليوم) سمعنا كثيرا من الأشياء عن الدعوة إلى هذه الوحدة كأنه ميؤوس منها، كأنها أشياء تجاوزها الوقت، كأنها أشياء لا يمكن تحقيقها، كأنه خيال، فهل هذه السبعون سنة في عمر المغرب العربي كثير؟

أنا أعتقد أنه لا يجب أن نتشاءم، نحن ما نزال في بداية الطريق من الثلاثينيات إلى الآن ونحن نعمل على توحيد شمال إفريقيا وأمامنا عقيدة في التوحيد، وفيها العناصر الأساسية التي تطالب بهذا التوحيد. إذن الوقت لا يزال بين أيدينا لتحقيق هذه الوحدة فقط ينبغي أن تكون هناك إرادة، ينبغي أن تكون هناك برامج ينبغي أن تكون هناك خطة، وهذا ما هو في متناولنا جميعا، ولا يمكن أن نرمي الكرة فقط عند المسؤولين، أو عند السياسيين أو عند أصحاب القرار. الكرة في المجتمع المدني بكل تفاصيله، إذ أنا أطرح من خلال هذه الندوة سؤالا: هذه السبعون سنة كافية لإنشاء منظومة موحدة مغاربية؟ أو ننتظر سبعين سنة أخرى؟

رأيي يمكن أن ننتظر 70 سنة أخرى ثم ينتج عنها اتحاد ووحدة لغوية وقوة، فلا بأس إذا حققناها قبل سبعين سنة هذا هو السؤال المطروح للمناقشة وشكرا.

- **السيد بن الشيخ:**

أعود بادئ ذي بدء لأن أحيّي السيد رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة على هذه المبادرة الطيبة، وأتوجه بالشكر من خلاله إلى فخامة رئيس الجمهورية الذي ما فتئ لا يدخر جهدا في تنظيم مثل هذه

اللقاءات، وإلى وزير الدولة وزير الشؤون الخارجية الذي زودنا بتعليمات هامة من أجل إنجاح هذه الندوة وإشعاعها.

في البداية لدي تعقيب فيما يخص السيد عبد اللطيف عبيد بخصوص ما عمله مجلس وزراء الخارجية لاتحاد المغرب العربي، ولذا أريد أن أذكر بأنه سبق لي أن اشتغلت بفرنسا، والجزائر كان لها برنامج طموح في تنمية اللّغة العربيّة وإشعاع صوتها خاصة في التراب الفرنسي ككل كان لنا برنامج طموح، ووسائل مادية هامة، وكنا قبل إنشاء اتحاد المغرب العربي فتحنا مدارسنا لإخواننا المغربيين كلهم ودون استثناء، وكان لدينا اتفاق خاص مع الفرنسيين في تعليم اللّغة العربية، ونجح هذا الاتفاق، وكان يشرف عليه في ذلك الوقت ودادية الجزائريين بأوروبا أثناء فترة حكم الحزب الواحد، وكان هرم الدولة، وكانت التعليمات تصل في حينها وتنفذ في حينها ومازلت أتذكر عندما كنت في سفارة باريس قال لنا الفرنسيون: الاتفاق يقول تعليم العربية خاص الجزائريين فقط، فقلنا لهم: لا، بل حتى التونسيون والمغاربة، وكنا نرمي من ذلك على أساس أن الطفل الجزائري يعود إلى أرض وطنه ودون تعرضه للاغتراب، وفضلنا أن يكون الأساتذة جزائريين أو مغربيين أو تونسيين، لأن الليبيين لم يكن لهم تواجد كبير في فرنسا، نجح هذا البرنامج وذاع صيطه، وفي النهاية كنا نبعث أساتذة من وزارة التربية الوطنية والبرنامج هذا مع بداية 1986 تزامن مع تعرض الجزائر إلى أزمة، وهي أزمة الديمقراطية وأزمة الموارد المالية والمحروقات وغير ذلك وأصبح هذا المشروع نتيجة لذلك شبه مجمد، ومع ذلك واصلنا مجهودنا لأن الاتفاق مع الفرنسيين موجود، في نفس الأقسام وفي نفس المدارس ندرس اللّغة العربيّة تعاملا بالمثل، وفتحنا مدرسة بباريس

وبدأت تشتغل ومديرها وأمينها العام معينان من وزارة التربية الوطنية لكن الاساتذة في الاتفاق الحاصل لا يكونون موفدين بل يكونون من أبناء الجزائر مقيمين حتى تكون وضعيتهم مسواة إداريا، وهي لا تزال حتى الآن تشتغل بخيرة الأساتذة الموجودين بباريس.

وفيما يخص اتحاد المغرب العربي قلنا: هناك عناصر تميزنا وتجمعنا ونحن كنا معرضين للاستعمار الاستيطاني، وترسخت فينا هذه اللّغة وتعتبر بالنسبة لنا مكسبا، وواصلنا هذا البرنامج الطموح لكن بادرة الجزائر صادفت نسيج الاتحاد الأوربي وازدهاره ووحدته وتكامله مما جعل هذا الاتحاد يقول لنا: بداية من أربع وتسعين أو خمس وتسعين سنناقش معكم هذه الامتيازات التي تحصلون عليها في الإطار الثنائي، لأننا سنوحد القواعد وهي قواعد الاتحاد الأوربي فمن الأحسن أن تجتمعوا في مجمع واحد حتى يكون لنا وزن فبدأنا بمبادرة الأورو متوسطي وهي الحوار: خمسة + خمسة وأنتم تعرفون أن الحوارات كثيرة لكن الحوار الذي نجح كان بمبادرة من ال من الجزائر في بداية التسعينيات، والذي كان يهمنا ويشغلنا نحن كجزائريين ومغاربة وتونسيين هي قضايا الهجرة في حين أن الأوربيين كانوا يلحون على قضية الأمن والطاقة ونحن لا يهمنا هذا ولكن ربطنا لهم العنصر البشري بعنصر الطاقة لأنه إذا لم تكن هناك مزايا وحماية للعنصر البشري لفن تكون هناك طاقة ولن يكون هناك أمن لأن الأمن غير قابل للتجزئة أو الانقسام أو التنازل الأمن ككل وبحكم الجزائر لها خبرة بالسياسية الفرنسية فإن دول المغرب العربي الخمس اتفقت على أن الهجرة من أصعب المشاكل ولذا اتفق على ان الجزائر ترأس الجالية والأمن: لماذ؟ لأن الشريك الوحيد والفعال الذي له فاعليته هي فرنسا،

والجزائر تعرف فرنسا أكثر فنحن نعرف محاسنها والعكس صحيح أيضا، وكان للجزائري قدرة كبيرة على التفاوض، فترأسنا هذا الفريق الذي اجتمع في باريس والرباط والجزائر وكان من وراء كل هذا التركيز على حماية مكتسبات الهجرة وضمان تقاعدهم وحقوقهم الشخصية والهوية بما في ذلك اللّغة العربيّة لأنن هؤلاء عرب. وأنتم تقولون لنا: الاندماج، ولكننا كمغاربيين لا نؤمن بهذا الاندماج إلا إداريا فقط وهذا من ناحية الشكل أما من ناحية الشكل أما من ناحية المضمون فهو مغاربي، ونتيجة لكل هذا وضعنا مشروع اتفاقية على مستوى اتحاد المغرب العربي تسمى "الاتفاقية المغاربية الأوربية لتعليم اللّغة العربيّة" وهذه الاتفاقية ستكون عامة ولا تنطبق على فرنسا فقط لأن تجربتنا مع فرنسا نجحنا فيها تماما وقلنا نعممها مع بلجيكا لكثرة الجالية المغاربية هناك ومن الممكن أن نعممها على ألمانيا وتتجه النية الآن حتى على إسبانيا لأن جذور العربيّة موجودة في هذا البلد.

وفي الحوار الأورو متوسطي خمسة + خمسة لن تكون لنا أية فرصة سانحة ومحطة هامة في هذا الحوار، والآن نسعى للتنسيق مع الاخوة التونسيين لعقد أول قمة مغاربية أورو متوسطية، فمجلس وزراء الخارجية انعقد حوالي خمس مرات لكن القمة هذه ستنعقد لأول مرة في شهر ديسمبر 2003 وستكون لنا فرصة للدفاع عن النقطة التي تهمنا كثيرا وهي الجالية واللّغة العربيّة لأنّهما شيئان مرتبطان، واللّغة العربيّة هي الجسر الوحيد الذي لا يزول ويبقى له دائما الأوتاد الصحيحة وكل شيء يمكن أن يزول لكن اللّغة ستبقى دائما القاسم المشترك وهذا ما أتبثه التاريخ على كل حال وشكرا.

- **الأستاذة فاطمة لحبابي:**

شكرا سيدي الرئيس أقول ماذا عساني ولست حافظة للشعر وهناك بيت شعري مشهور يقول:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

ولن آتيي بشيء جديد لأني آخر من يتدخل وقد استنفدت كل التدخلات دقائق الأمور كبيرها وصغيرها ولكن دعوني أقول: بعد بسم الله الرحمن الرحيم: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا". فنحن رغم الصيغة التشاؤمية التي سادت بعض التدخلات فإني أقول لا ولا ولا لأن الذي يعترف بفضل الله وبالجهود المتضافرة قد سجل خطوات إيجابية في الأهداف التي رمت إيها هذه الندوة في تخطيطها لها وهذا عنصر إيجابي أول وهذا العنصر الإيجابي لا يمنع م بعض الملاحظات على سبيل النقد الذاتي أولاها أن بعض العناصر، رغم تفضل المجلس الأعلى لا للغة العربية بدعوتهم بكل إلحاح وبكل الوسائل لحضورهم ومع ذلك لم يحضروا ولم يعتذروا وأقصد بهم خصوصا الإخوان المغاربة فأنا آسفة لأعطي نموذجا عن هذا الخلل الذي هو فينا ومنا فهذه صورة سلبية فينا، ثانيا وبناء على ما جرى في هذين اليومين من تدخلات فإني مع الرأي القائل بتغيير مفهوم الثقافة الذي شاع عندنا منذ أزمان وعصور، فالثقافة إذا كانت عموما تسلط على الميدان الأدبي والعلوم الإنسانية والفنون والإبداع الفكري والسينمائي..الخ، فإنها اليوم في صلة وثيقة بالعلوم التكنولوجية والعلوم الدقيقة، فلا انفصال لها عن الاختراعات والإلكترونيات والإنترنت وكل معطيات التكنولوجية الحديثة، فإذا حورنا مفهومنا للثقافة بشكل عقلاني مدروس يتماشى مع معطيات الحضارة المعاصرة سنقع على مفتاح ربما وجدنا فيه ما يوجهنا لوضع

اليد على بعض الخلل أو ملامح الخلل في تعطل آليات التواصل المغاربي عن طريق اللّغة العربيّة، إذا حاولنا هذا فإننا سننجح في وضع اليد لنقف عند التشرذم القائم بيننا في ميدان التربية والتعليم الاساسي وفي الميدان الجامعي لكن هذه الأشياء كلها معروفة ولكن ما أريد ان أشير إليه يتعلق بالأمية فهي داء عضال وأقصد بالأمية ليست أمية الأبجدة ولا كتابة الحروف ولكن الأمية في التعامل مع الإلكترونيات والانترنيت والشبكات التي أصبحت الذخيرة التي تملأ الأدمغة، وهناك ظاهرة طيبة حتى في الأكواخ القصديرية عندنا في المغرب يوجد سيبرنيك والولد ربما لا يجد ما يأكل ولكنه يلح على الأسرة لتعطيه عشرة دراهم ليذهب إلى الانترنيت بمعنى أن هناك فضاءات لاستغلال المعرفة على مستوى الصعيد العالمي ويجب أن نسخرها باستعمال اللّغة العربيّة وبتعليم الجماهير.

وهناك مطلب أضع مصداقية النخب مع نفسها سواء كانت النخب المثقفة أو السياسية أو التي لها أموال تدعو إلى غير ما تؤمن به وحتى الأحزاب السياسية المعروفة أقولها صراحة تدعو إلى التعريب وأبناؤها في فرنسا أو في المدارس العليا بأمريكا وغدا سيصبحون ورثة لهم في المناصب العليا وعليه فاللعبة مكشوفة والجماهير لم تعد لها ثقة لا بالمثقف ولا بالسياسي ولا بالمسؤول الحزبي، فالجماهير الآن أصبحت واعية جدا، كفانا هذا ولا بد من الشفافية في التعامل.

وهناك نقطة أخرى أطالب بها وهي أن نطلق سراح ما بذل من جهد منذ عقود أي منذ 1956 على الأقل ألا وهو ترسيخ الدعوة لبناء قواعد المغرب العربي على أسس عادلة فيما بيننا وشفافة ومتبرئة من المداخل السياسية الملغومة، ولا أريد بهذه المناسبة أن تفوتني الفرصة لأشير إلى

مشروع أحد القادة المغربي والزعماء لحزب التقدم الاشتراكي رحمه الله، وقد تفضل رئيسنا للمجلس الاعلى للّغة العربيّة الذي أشار: لعل أصله جزائري، ولا أنفي هذا لأنّه كان له من الجرأة والقوة والانفة لما يتميز به الجزائريون ففي 5 يوليو 1962 غداة استقلال الجزائر خطب خطابا جماهيريا ألقاه في الدار البيضاء جاء فيه تصور مكتمل وواضح وعقلاني ومنطقي للوحدة المغاربية على أسس لعلها الآن من قبيل الطوباوية تمشي على أربع مراحل تدريجية:

1-مرحلة ما بعد الاستقلال بحيث ك شعب يرى ماذا بداخل داره ويعمل على ترتيبه.

2-مرحلة الكونفيدرالية

3-مرحلة الفيدرالية

4-مرحلة التوحيد لدولة واحدة وعلم واحد وجيش واحد ....الخ.

وهناك مطلب آخر نقوم بتصحيح صورة الإسلام في الغرب وأن نصحح صورة الاندماج الثقافي في المغرب العربي بالنسبة لأذهان إخواننا في المشرق لأن المغالطات والمجازفات ترمي بهم إلى ان يعتبروا بعض الأقطار مازالت مفرنسة أو أن الأمازيغية تمزق جسمهم وأن العربية تحتضر يجب أن نصحح هذه المفاهيم الخاطئة.

طوال هذين اليومين سئلت من الصحافيين: ما هو رأيك في الأمازيغية أو البربرية أهي ثقافة أم لغة وكيف يمكن لها أن تتعايش في المغرب؟ فقلت لهم إن الصراع ثلاثي الأطراف إذا استطعنا أن لا نعلق على مجب وضعه المستعمر في بيتنا وهو ذو أعمدة كثيرة كل ما دب وهب فيمكن أن نرى وجهنا في المرآة كل صباح لنرى التشويهات

والجمال اللذين خصنا بهما الله ونقوم بإصلاح ما فيه من تشويهات وترقية ما فيه من جمال.

البيان الختامي

التأمت تحت الرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة الرئيس المباشر لاتحاد المغرب العربي الندوة المغاربية التي نظمها المجلس الأعلى للغة العربية يومي الأحد والاثنين 29 و30 من شهر جوان 2003 وكان محورها: **"مساهمة اللّغة العربية في التواصل والتضامن والوحدة بين أقطار المغرب العربي".**

وقد هدف الملتقى إلى إتاحة الفرصة للباحثين والمثقفين المغاربيين للتشاور وتبادل وجهات النظر حول إمكانات العمل المشترك ضمن

مؤسسات الاتحاد المغاربي لخدمة اللغة العربية أداة للتنمية والتقدم والتكامل والوحدة، ووسيلة علمية وتربوية وثقافية.

وقد شرّف فخامة رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية السيد: عبد العزيز بوتفليقة الندوة بإشرافه على افتتاحها، وإلقائه كلمة بليغة جامعة ركّز فيها على أهمية اللّغة العربيّة ودورها في بناء الاتحاد المغاربي، باعتبارها مقوما أساسيا من مقومات الهوية المغاربية، وضرورة اعتمادها وسيلة من وسائل التقدم والرقي.

كما دعا إلى السعب إلى إنشاء مجمع لغوي وعلمي مغاربي مشترك يعمل على مزيد من الجهد لتطوير اللّغة العربيّة، لتصبح لغة علمية عالمية وتؤدي وظائفها الحضارية في جميع الميادين.

ولقد أكّد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في جلسة الافتتاح أهمية اللغة في وحدة الأمة وبناء المجموعات الإقليمية. لا سيّما وأن اللغة ركيزة أساسية في بناء الثقافة الموحدة والموحدة، داعيا إلى السعي الحثيث لإنجاز طموح شعوبنا، وتجديد اللقاء، وتعميق التشاور بيننا في نطاق العمل على تفعيل مؤسسات الاتحاد المغاربي، ملاحظا أن العناية بلغتنا لا يتعارض إطلاقا مع ضرورة العناية باللغات الحيّة الأخرى بغية التحكم فيها والاستفادة منها علميا وثقافيا.

ولقد شارك في هذه الندوة جامعيون وباحثون ومثقفون وممثلو مؤسسات مغاربية وأهل الاتصال والإعلام من مختلف أقطار المغرب العربي، ألقوا سبع عشرة محاضرة (17) تناولت المحاور المقررة.

فلقد تبين من المحاضرات والمناقشات والمائدة المستديرة التي ختمت بها أشغال الندوة أن اللّغة العربيّة من بين أبرز المعالم المتصدرة للاتصال والتواصل بين الأقطار المغاربية. كما تبين من التعقيبات

والإثراءات وكلمات المؤسسات أن اللغة العربية تعد حجر الزاوية في الوحدة بين الأقطار المغاربية وأن ما شهدته من نهضة وتطور منذ استقلال المغرب العربي يحتم علينا جميعا العمل على مزيد منا لعمل المشترك والتنسيق للنهوض بها وترقية مردودها لتضارع اللغات الأجنبية، وتحتل مكانها الطبيعي في التربية والتعليم والإدارة والمجتمع والحياة الاقتصادية والإعلام والاتصال فتساعد على تجذير المواطن المغاربي في هويته، وتيسر تواصله مع أشقائه في الوطن العربي، وتكون أداة فاعلة في بلوغ أهداف التنمية النشودة.

وانطلاقا من الكلمة المنهجية العميقة التي ألقاها فخامة رئيس الجمهورية، ومن المحاضرات والمناقشات يقترح المشاركون ما يلي:

1.إنشاء مؤسسة مغاربية مشتركة، في شكل مجمع للّغة العربيّة وعلومها وثقافتها، تهتم بالعربية بحثا وتدريسا ومعجما ومصطلحا وترجمة وإعلاما وتواصلا وتأليفا على أن تطبق هذه المؤسسة أحدث المناهج العلمية لتكون في مستوى العصر وتستجيب للحاجات العلمية المغاربية المتنامية في مختلف المجالات، وأن يستفاد في إنشائها من تجارب المؤسسات الرائدة والناجحة في العالم.

2.العمل على تأسيس جمعيات مغاربية في كل المجالات ذات الصلة باللّغة العربيّة وعلومها وثقافتها وبخاصة مجالات الدراسات اللسانية العربية والترجمة وعلوم المعجم والمصطلح والإبداع الأدبي.

3.إقامة أسبوع سنوي مغاربي للّغة العربيّة احتفاء بها، وتوعية بقيمتها ودورها في ترسيخ الهوية وتحقيق التنمية، تمنح خلاله الجوائز، وتكافأ المؤسسات التي بذلت جهدا خاصا في استخدام العربية وتطويرها والحفاظ على سلامتها.

4.وضع سياسة لغوية مغاربية متناسقة ترمي إلى تطوير اللّغة العربيّة، وتحصيل اللغات الأجنبية، وأخذ المطلب الأمازيغي بالاعتبار، والاهتمام بالعاميات وتراثها الأسطوري والشعبي.

5.دعوة وزارات التربية ومراكز البحوث المتخصصة اللغوية والتربوية إلى تحيين الرصيد اللغوي الوظيفي المغاربي وتطبيقه، وتدريس التاريخ المغاربي المشترك.

6. حث كل الجهات المعنية على مواصلة تعميم استعمال اللغة العربية في جميع المجالات دون استثناء.

7.تفعيل الصلات الجامعية المغاربية، وبعث مشروع الجامعة المغاربية لتكون المحور المشترك في تكوين الإطارات المغاربية العليا.

8.دعوة المجالس أو المجامع اللغوية للاجتماع، للنظر في وضع منظومة منسجمة للغة العربية، توزع مهام إنجازها بين هذه المؤسسة.

9.إنشاء جهاز مغربي لنشر اللغة العربية، ودعم ثقافتها في صفوف أبناء الجاليات المغاربية في الخارج وبخاصة في أوروبا، يتولى وضع المناهج وإعداد الوسائل التعليمية وتأثير العملية التعليمية.

10.جعل ندوة مساهمة اللغة العربية في التواصل والتضامن والوحدة ندوة دورية، ودعوة الأقطار المغاربية الأخرى إلى احتضانها تباعًا.

11.الختام ثمن المنتدون عاليا الإشراف والحضور الشخصي لفخامة رئيس الجمهورية، ويرفعون له أسمى عبارات التقدير والاحترام، متمنين كل الخير للجزائر، وأن يحفظها الله من كل خطر وإلى رئاسة الاتحاد المغاربي آيات التقدير على ما بذلته من جهد لالتئام هكذا الشمل الوحدوي متمنين الإسراع لتشييد صرح المغرب العربي الكبير.

كما يزجون خالص الشكر للمجلس الأعلى للغة العربية على تنظيم هذه الندوة وعلى ما وفره لهم من حسن الاستقبال الذي كان عاملا في نجاحها.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الوراسي في 30 جوزان 2003

ينبغي أن نؤكد و أنتم تقيمون ندوتكم هذه في الجزائر، وقد أحسن المجلس الأعلى للغة العربية اختيار موضوعها، أن الفضاء المغاربي في آفاقه السياسية و الاقتصادية و الثقافية جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير، ننتمي وننتسب إليه جميعا وجدانا وتاريخا وحضارة، فهو امتداد لنا ونحن امتداد له، نسج اللسان العربي بين أقطاره روابط ثقافية متينة، تجذرت طيلة 14 قرنا، فكان العلماء ينتقلون بين أقطارنا بلا حواجز و لا حدود و لا تأشيرات، يتعلمون ويعلمون في المعاهد و الزوايا المنتشرة شرقا وغربا في عمق إفريقيا، ويجدون أنّى حلوا كل العناية و الحظوة و التكريم.

فقرة من خطاب فخامة رئيس الجمهورية

السيد عبد العزيز بوتفليقة

عند إشرافه على افتتاح الندوة

المجلس الأعلى للغة العربية

06 شارع العقيد امحمد بوقرة - الجزائر

الهاتف : 25-24.07.23 . 021

الفاكس : 07.07.23 . 021

ص.ب 575 الجزائر - ديدوش مراد

Mondial Com / 021 72 12 73